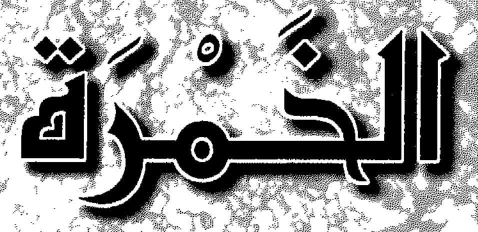
د. سليمان حريتاني



وظاهرة انتشار الحانات ومجالس الشراب
في المجتمع العربي الإسلامي





الموقف من الخمرة

- الموقف من الخمرة
- د. سليمان حريتاني
- دار الحصاد للنشر والتوزيع : سورية - دمشق - برامكة
- هاتف ، فاكس : 2126326 ص. ب : 4490
- التدقيق اللغوي : د. بشير ناصر

د. سليمان حريتاني

الموقف من الخمرة

وظاهرة إنتشار الحانات ومجالس الشراب في المجتمع العربي الإسلامي

الإهداء

إلى الكرمة الحقيقية (المعرفة) مصدر الإثمار الروحي والفكري ومشكاة الأمل العشـوق في الوصول إلى الحق.

سليمان

تمهيد

قال ابن الرومي[1]:

أحلَّ العراقيُّ النبيذ وشربه
وقال الحرامان المدامة والسكْرُ[2]
وقال الحجازي الشرابان واحدٌ
فحلّت لنا بين اختلافهما الخمرُ[3]
سآخذ من قوليهما طرفيهما
وأشربها لافارق الوازر الوزرُ

عرف العرب الخمرة في جاهليتهم وإسلامهم، كما عرفتها شعوب الأرض قاطبة، وكانوا يعدونها من «مقومات السيادة العربية فادعوها جميعاً حتى

(١) - ابن الرومي: هو علي بن العباس يوناني الأُصل من أم فارسية. ولد ببغداد سنة ٢٢١ للهجرة، وتوفي حوالي سنة ٢٨٣ هجرية. يُعتبر ابن الرومي من أشهر شعراء العصر العباسي الثاني، شيعي المذهب، إمام الوصف والتصوير الهزلي وأكبر شاعر متطير في عصره. الأبيات نقلاً عن ديوانه، اختيار وتصنيف كامل الكيلاني الجزء الأول، الصفحة:٧٨ .

(٢) - العراقي: هو النعمان بن ثابت (الإمام أبو حنيفة). ولد في نسا عام ٨٠ للهجرة وتوفي في بغداد سنة ١٥٠ هجرية. فارسي النسب تيميّ الولاء كوفيّ النشأة عمل أول أمره في التجارة، ثم اتجه إلى دراسة علم الكلام والجدل، فنبغ فيه وناظر. اختص بالفقه بعد أن هجر علم الكلام في حلقة حماد بن أبي سليمان. سجنه المنصور ثم قتله بدس السم له. يُنسب إليه المذهب الحنفي الذي نشأ في

صعاليك[٤] العرب وأغربتهم[٥]، فافتخر عنترة أنه«شربها بالمشوف المعلم»[٦].
ووصفها الشعراء وصفاً دقيقاً بليغاً، كما وصفوا من خلالها حالاتهم ونشوتهم وماتركته في عقليتهم من أثر يمثل حياة اللهو والطرب التي يتلألأ ريعان أشعتها من لألأء مُجاج رحيقها وبريق كؤوسها.

← الكوفة منسجماً مع ظروف المكان وطبائع الناس. وكانت الكوفة مركزاً لتجمع الموالي المسلمين من غير العرب، ومن بعض العرب المسلمين الذين تأثروا بأجواء الحرية فاتجهوا لصفاتهم تلك ولقربهم من حضارتي فارس والروم إلى إعمال العقل وإبداء الرأي في كل مسألة تُطرح ولايكون لها حَلّ في القرآن والسنة، أو حتى رأي مقارب يمكن القياس عليه.

(٣) ـ الحجازيّ: هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ولد في غزة سنة ١٥٠ للهجرة/ ٧٦٧ ميلادية وتوفي في فسطاط مصر سنة ٢٠٤ للهجرة/٨٢٠ ميلادية، ودفن في سفح جبل المقطم يُنسب إليه المذهب الشافعي، وهو مذهب وضعه بهدف تضييق الخلاف بين المذهب الحنفي والمذهب المالكي. جوهر مذهب الشافعي يُفيد: أن العقل البشري يقصر دون معرفة الحقيقة بعيداً عن الوحي الإلهي الوارد في القرآن وفي الأحاديث. وأن عليه أن يقيس على ماورد في هذين المصدرين لاستنتاج حلول جديدة، لاأن يلجأ إلى مايسمى الاستحسان (تفضيل حكم معين) أو الاستصلاح (تقدير المصلحة العامة للجماعة) إلاّ بعد تقويم نتائج ذلك على فكرة الإجماع. ولما كان إجماع كل المسلمين على رأي واحد مستحيلاً كما يرى أغلب الفقهاء، فإن مؤدى مذهب الشافعي هو إغلاق باب العقل والرأي والاجتهاد بذرائع شرعية ومقولات إسلامية.

٤ ـ الصعاليك: من صعلك وتصعلك، بمعنى افتقر، وهي صفة اللصوص الفقراء من فرسان العرب الذين أنتجهم التمايز الاقتصادي والإجتماعي كعلامة جنينية على بدء تحول هذا التمايز ليصبح أساساً لانقسام المجتمع إلى طبقات. ويمكن اعتبار رفضهم لرابطة الدم وسعيهم إلى إقامة رابطة من نوع آخر قد تكون النواة العربية الأولى للرابطة الطبقية، وتعبيراً منهم عن تململهم وتمردهم على الواقع الإجتماعي، ومالنسلاخهم عن قبائلهم إلاّ سعياً منهم للتخلص من الفقر. وقد وصف القتال الكلابي حالة الصعلوك بأبيات جاء فيها:

إذا جاع لم يفرح بأكلة ساعة ولم يبتئس من فقدها وهو ساغبُ ←

وتولع العرب برحيقها ولعهم بالمرأة، لأنها توري فيهم مشاعر دافئة وملونة، وانفعالات غامضة إثر دبيبها في مفاصلهم، على غرار تلك الانفعالات التي تثيرها مشاهدة المرأة أو محادثتها أو لمسها. فأدمنوا عليها إدمانهم على عُشق الجمال.

جاء في الأمثال(٧):

«أهلك الرجال الأحمران اللحم والخمر».

علماً أن أحدهم ويُدعى سُحيم بن وثيل الرياحي، ملك منه حبُّ الخمرة جنانه ولُبَّهُ، وزاد عشقها لديه على كل عشق، ففضلها على زوجه وماله وولده.

قال مخاطباً حدراء زوجته عندما لامته على شربها(٨):

تقولُ حدراءُ: ليس فيك	سوى الخمر معابٌ يعيبهُ أَحَدُ

← وأصدق تصوير لمشاعر التمرد والاحتجاج لدى هؤلاء الصعاليك على واقع التفاوت الإجتماعي، ماقاله عروة بن الورد أحد شعرائهم وفرسانهم:

ذريني للغنى أسعى فإني	رأيتُ الناس شرهم الفقيرُ
وأهونهم وأحقرهم لديهم	وإن أمسى له نسبٌ وفيرُ
ويُقصى في النديِّ وتزدريه	حليلته وينهره الصغيرُ

وكان من بين الصعاليك طرداء طردتهم قبائلهم ومغامرون لجؤوا إلى النهب والغزو. عن النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية: حسين مروة، المجلد الأول، الصفحة:٢٢٩ ومابعدها.

(٥) ـ الأغربة: من غَرَّبَ إسودَّ وجهه من ريح السموم. وأغربة العرب سودانهم.

(٦) ـ مارون عبود، كتاب الرؤوس الصفحة ١٠٥ .

(٧) ـ المكيفات: الدكتور عبد العزيز أحمد شرف، سلسلة إقرأ، العدد رقم ٤٣٣ الصفحة ٥٥

(٨) ـ البيان والتبيين: للجاحظ، دار الكتب العلمية بيروت، الجزء الثالث، الصفحة:١٧٠

فقلتُ: أخطأت، بل معاقرتي الخمر وبذلي فيها الذي أجدُ[9]

هو الثناء الذي سمعت به لاسَبَدٌ مخلدي ولالَبَدُ[10]

ويحك لولا الخمور لم أحفـ ـل العيش ولا أن يضمني لحدٌ

هي الحيا والحياة واللهو لا أنتِ ولاثروةٌ ولاولدُ

وعندما حاولَ أبو حفص القريعي أن يستعيض عن الخمر بشرب اللبن أورثه شربه المغص ووجع البطن فقال:[11]

قد هجرتُ النبيذ مُذ هُنَّ عندي وتمزَّزتُ رِسلهنَّ مذيقا[12]

فوجدتُ المذيقَ يوجع بطني ووجدتُ النبيذ كان صديقا

يَعِدُ النفسَ بالعشيِّ مناها ويسلُّ الهموم سلاً رقيقا

وتفنن العرب في وصف الخمرة، وفي تعداد أسمائها، فقالوا: الراح[13] العقار[14]، الصهباء[15]، المشعشعة[16]، المدام[17]، الرحيق[18]، القهوة[19]

---

(٩) ـ المعاقرة: في لسان العرب المجلد الرابع، الصفحة:٥٩٨ تعني إدمان شرب الخمر.

(١٠) ـ السَبَد: بالتحريك القليل، واللبد: الكثير. قيل مال لابدٌ: مال كثير، والعرب تقول: فلان ماله سبد ولالبد: لاقليل ولاكثير. ويسمى الصوف الذي يوضع تحت سرج الفرس باللبد.

(١١) ـ المصدر السابق، الجزء الثالث، الصفحة:١٧١

(١٢) ـ تمززت: تمصصتُ. المذيق: لبن ممزوج بالماء.

(١٣) ـ الراح: لأنها تكسب صاحبها الأريحية، أي خفة العطاء ـ كما قيل ـ لأنها تفتح راح البخيل فيصبح كريماً .

(١٤) ـ العقار: لأنها عاقرت الدن...

(١٥) ـ الصهباء: الخمر التي عُصرت من العنب الأبيض.

(١٦) ـ المشعشعة: الخمر الممزوجة.

(١٧) ـ المدام والمدامة: لأنها داومت الظرف الذي انتبذت فيه.

(١٨) ـ الرحيق: معناه الخالص من الغش.

(١٩) ـ القهوة: لأنها تُقهى عن الطعام والشراب إذا لم يشتهِه.

القرقف[٢٠]، السلاف[٢١]، الكميت[٢٢]، الخندريس[٢٣] ، والشمول[٢٤].

ووضع الفيروز أبادي صاحب قاموس المحيط كتاباً بعنوان (الجليس الأنيس في أسماء الخندريس)، ذكر فيه ألف اسم للخمرة، واستشهد بألف بيت شعر لشعراء العرب[٢٥].

كما تغنوا في وصف كريم خصالها وسُموٌ فضل رحيقها على غيره من المشاريب، إذ عدُّوها سيدة الأشربة.

قالوا[٢٦]:

«.... ماظنك بشراب، الشُربة الثانية منه أطيب من الأولى، والثالثة أطيب من الثانية، حتى يؤديك إلى أرفق الأشياء وهو النوم. وكل شراب سواها فالشربة الأولى أطيب من الثانية والثانية أطيب من الثالثة حتى تملَّه وتكرهه».

وكتب صاحب العقد الفريد يقول[٢٧]:

«... وسقى قوم إعرابياً كؤوساً، ثم قالوا: كيف تجدك؟

قال أجدني أُسَرُّ وأجدكم تحببون إليَّ».

---

(٢٠) ـ القرقف: لأن شاربها يقرقف إذا شربها أي يرتعد.

(٢١) ـ السلاف: وأصله من السلف وهو المتقدم من كل شيء.

(٢٢) ـ الكُميت: سميت بذلك للونها إذا كانت تضرب إلى السواد

(٢٣) ـ الخندريس: وهي القديمة

(٢٤) ـ الشمول: سميت بذلك لأن لها عصفة كعصفة الشمال، وقيل لأنها تشمل القوم بريحها.

(٢٥) ـ خمر وشعر: سامي الكيالي، الصفحة:٢١

(٢٦) ـ العقد الفريد: أحمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلد الثامن، الصفحة: ٦٨

(٢٧) ـ المصدر السابق، المجلد الثامن، الصفحة ٦٨

وذُكر أن قيصراً[٢٨] ملك الروم سأل حكيم العرب وخطيبهم قس بن ساعدة الأيادي[٢٩] مستفسراً منه عن : «أي الأشربة أفضل عاقبة في البدن؟.

قال: ما صفا في العين واشتد على اللسان وطابت رائحته في الأنف من شراب الكرم.

قيل له: فما تقول في مطبوخه؟.

قال: مرعى ولاكالسعدان[٣٠].

قيل له: فما تقول في نبيذ التمر؟.

قال: ميت أحيا فيه بعض المتعة، ولايكاد يحيا من مات مرة.

قيل له: فما تقول في العسل؟.

قال: نِعْمَ شراب الشيخ ذي الأبردة والمعدة الفاسدة[٣١].

---

(٢٨) - قيصر: إسم أسرة قديمة من أشراف روما، اتخذه الأباطرة الرومان لقباً لهم إلى أن وضع هادريان سُنة جديدة فاحتفظ للإمبراطور وحده بلقب أغسطس، ولقب ولي العهد قيصر. ثم أحيا عواهل ألمانيا وروسيا اللقب الإمبراطوري القديم باتخاذهم لقب قيصر.

(٢٩) - قس بن ساعدة الأيادي: خطيب العرب وأديبهم وشاعرهم وحكيمهم في العصر الجاهلي. يُضرب به المثل في البلاغة والحكمة. كان من نصارى نجران وأحد أحبارها، وعُين أسقفاً لها. أول من آمن بالبعث من الجاهليين، وتردد على قيصر الروم فأكرمه. وقيل أن النبي محمد أدركه وسمعه يخطب بعكاظ فأعجب بكلامه وتمثل به، عاش طويلاً وحيكت حول حياته وشخصيته القصص الشعبية والخرافية. توفي حوالي سنة ٦٠٠للميلاد.

(٣٠) - مرعى ولاكالسعدان: السعدان نبتٌ له شوك وهو من أفضل ماترعاه الإبل، وفيه يُضرب المثال فيقال«مرعى ولاكالسعدان». يُضرب للحكم بجودة أحد الفريقين وتفضيل الآخر عليه. عن المنجد في اللغة والأعلام للأب معلوف، الطبعة السادسة والعشرون، الصفحة:٣٣٤ .

(٣١) - العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٤٥ .

وقيل أن الوليد بن يزيد[٣٢]، الذي عُرف بالظُرف والخلاعة والمجون، واشتهر كعاشق للخمرة مدمن عليها وصاف لها، لما سمع بابن شراعة بن الزندبود الكوفي الخليع المشهور باللهو والبطالة وإدمان الشراب، استدعاه من الكوفة إلى دمشق فحمل إليه.

كتب صاحب العقد الفريد يقول[٣٣].

«... لما أُتي بابن شراعة من الكوفة: فوالله ماسأله عن نفسه ولاسفره حتى قال له: يابن شرّاعة، إني والله مابعثت إليك لأسألك عن كتاب الله ولاسنة رسوله.

قال: فوالله لو سألتني عنهما لألفيتني فيهما حماراً .

---

(٣٢) ـ الوليد بن يزيد: هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الخليفة الأموي الحادي عشر. ولد في دمشق عام ٨٨ للهجرة / ٧٠٧ ميلادية، وقتل في بخراء قرب تدمر عام١٢٦ للهجرة/٧٤٤ ميلادية. قطع رأسه ورفع على رمح وطيف به شوارع دمشق، ثم قدم إلى ابن عمه يزيد الناقص الخليفة الأموي الذي نصب بعده.
كان الوليد شاعراً مبدعاً غزير الإنتاج، سهل اللفظ، حلو النغمة رقيق العبارة، اعتمد من بحور الشعر أخفها وألطفها وأشدها ملاءمة لحياة اللهو والمجون. تمتاز مقطوعاته الخمرية بوحدتها الموضوعية والمعنوية، وتنبض بالحياة وتخفق بالجذل والسرور. لأنها تعبر عن تجربة الشاعر الخاصة وتخدم مواقفه من الحياة والناس غير أن شعره الخمري كان نهباً للشعراء كما كان رائداً لهم. وكان الوليد جميلاً ذكياً شجاعاً نبيلاً، خفيف الروح جذاباً، رقيق الذوق مرهف الشعور، حاذقاً بضرب العود والنقر على الدف، على شيء غير قليل من سوء السيرة، نُسب إليه عندما حج أنه كان ينوي وضع قبة على الكعبة يشرب فيها الخمور..؟ كما نُسب إليه أنه مزق القرآن رمياً بالنبال وقال متحدياً:

أتوعد كل جبّار عنيد	فهاأنا ذاك جبارٌ عنيدُ
إذا ماجئت ربك يوم حشرٍ	فقل يارب مزقني الوليدُ

وتذكر روايات أخرى أنه قتل وهو يقرأ القرآن ويقول:«يوم كيوم عثمان».

(٣٣) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة ٤٥ ومابعدها.

قال: وإنما أرسلت إليك لأسألك عن القهوة .

قال: دهقانها الخبير، وطبيبها العليم....

قال: فما تقول في الشراب؟.

قال: ليسأل أمير المؤمنين عما بدا له.

قال: فما تقول في الماء؟

قال: لابد لي منه والحمار شريكي فيه.

قال: فما تقول في السويق[٣٤]؟

قال: شراب الحزين والمستعجل والمريض.

قال: فما تقول في اللبن؟.

قال: مارأيته قط إلا استحييتُ من أمي من طول ماأرضعتني به.

قال: فنبيذ التمر؟.

قال: سريع الإمتلاء سريع الإنفشاش.

قال: فنبيذ الزبيب؟.

قال: جاموا[٣٥] به على الشراب.

قال: فما تقول في الخمر؟.

قال: أوَّه تلك صديقة روحي.

قال: وأنت والله صديق روحي.

ثم قال: وأي المجالس أحسن.؟

قال: ماشرب الناس على وجه قط أحسن من السماء»[٣٦].

ويُعدُّ الأدب العربي في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية من أغنى آداب الأمم في شعر الخمرة، فلا نتصفح ديواناً لشاعر إلا ونجد مقطوعات وقصائد كثيرة في

---

(٣٤) ـ السّويق: شراب يتخذ من الحنطة والشعير. .

(٣٥) ـ جاموا: من جام يجوم جوماً: إذا طلب شيئاً خيراً أو شراً.

(٣٦) ـ في بعض الأصول: «من النساء».

وصفها ووصف الشرب وحالتي الصحو والسكر حقيقة أو مجازاً، على الرغم من موقف القرآن، اذ دعت آيات التنزيل إلى اجتناب الخمرة والامتناع عن معاقرتها.

وروى عن الرسول لما سُئِل عن شراب المزر الذي يصنعه اليمنيون من الشعير أنه قال: (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام)[37].

وذكر صاحب نهاية الأرب: أن أنس بن مالك[38] قال: حُرِّمت الخمر ولم يكن للعرب عيش أعجب منها وماحُرِّم عليهم شيء أشدُّ من الخمر»[39].

وقيل للأحنف بن قيس[40] : «أيُّ الشراب أطيب ؟ فقال: الخمرة.

فقيل له وكيف علمت ذلك وأنت لم تشربها؟ قال: رأيت من أُحِلَّتْ له لايتعداها ومن حُرِّمت عليه إنما يدور حولها)[41].

---

(٣٧) ـ حديث إسناده صحيح كما يقول ابن النحاس أخرجه مسلم في الأشربة رقم: ١٥٨٧ . وأبو داوود في الأشربة باب النهي عن المسكر رقم:٣٦٧٩، وأحمد والنسائي وغيرهم. عن الناسخ والمنسوخ واختلاف العلماء لابن النحاس، تحقيق سليمان اللاحم، المجلد الأول الصفحة:٥٨٤ ومابعدها.

(٣٨) ـ أنس ابن مالك: ويدعى أبو حمزة الأنصاري. صحابي رافق الرسول نحو عشر سنوات، بايع ابن الزبير في الخلافة. رُوِي عنه الحديث وعمر طويلاً حيث توفي عام ٩٣ للهجرة/ ٧١١ ميلادية.

(٣٩) ـ أبو نواس: عبد الحليم عباس، سلسلة إقرأ، العدد رقم:٢١، الصفحة: ١٤

(٤٠) ـ الأحنف بن قيس: توفي عام٧٢ للهجرة/٦٩١ ميلادية في مدينة الكوفة. دُعي بالأحنف وذلك لإلتواء في رجليه. ولد في البصرة وأصبح سيد بني تميم فيها. حَثَّ بني تميم على اعتناق الإسلام، عمل في خدمة عبد الله بن عمر، وأظهر مواهب قيادية باهرة، فاحتل هراة وبلخ ومرو. وقف موقفاً محايداً في معركة الجمل. انضمَّ إلىٰ صف علي في صفين، اشترك في الحملة على المختار.

(٤١) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٤٤

وأنشد عبد الله بن القعقاع في هذا المعنى قال[٤٢]:

أتانا بها صفراء يزعمُ أنها زبيبٌ، فصدقناه وهو كذوبُ
فهل هي إلاَّ ساعة غاب نحسها أصَلِّي لربي بعدها وأتوبُ

وقال آخر[٤٣]:

يدورون حول الشيخ يلتمسونه بأشربة شتى هي الخمر تطلبُ

ويروى عن ابن عباس[٤٤] قال:

«... حُرِّمت الخمر بعينها والسُكرُ من كل شراب»[٤٥].

وتمايز موقف الأديان الكتابية الأخرى عن الموقف الرسمي الذي أعلن باسم الإسلام. لقد أباحت هذه الأديان شرب الخمر بهدف النشوة وإزالة المتاعب. ودعت إلى تناول المعتدل من رحيقها الذي عُدَّ نوعاً من الشراب الإلهي لابُدَّ من تقديمه خلال طقوس العبادة. وعُدَّت النشوة التي تولدها في نفس الإنسان وفي مشاعره نشوة مباركة لأنها من صنف النشوة الدينية أو جزء منها.

---

(٤٢) ـ المصدر السابق، المجلد الثامن، الصفحة:٤٥

(٤٣) ـ المصدر السابق، المجلد الثامن، الصفحة:٤٦

(٤٤) ـ ابن عباس: صحابي كبير ومعروف، لُقبَّ بـ حبر الأُمة. كان يرتدي الرداء بألف درهم كما جاء في البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي المجلد الثاني، الصفحة:٢٥٦ . وعندما كان والياً على البصرة لابن عمه علي بن أبي طالب ووجد الأمور تتدهور لصالح الأمويين، وأن علي بن أبي طالب بدأ يقترب من نهايته، استولى على خزينة البصرة وهرب بها إلى مكة التي كانت حينذاك قد خرجت عن سلطة الخليفة. وهذه السرقة مشهورة روتها أمهات المصادر الإسلامية، عن قاموس التراث، هادي العلوي، الصفحة:٢٥

(٤٥) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٧٢ . وقد رواه ابن عباس عن زيد بن أخرم عن أبي داوود، عن شعبة، عن مسعر بن كدام، عن ابن عون الثقفي، عن عبد الله بن شداد.

ألم يُحوّل السيد المسيح الماء خمراً في عُرسٍ في قانا الجليل[٤٦]؟.

وجاء في المزامير[٤٧]:

«... وخمرٌ تفرح قلب الإنسان لإلماع وجهه أكثر من الزيت» .

وقال بولس لتلميذه تيموثاوس[٤٨]:

«... لاتكن في مابعد شرّاب ماء، بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة».

إلاّ أن هذه الأديان اتخذت موقفاً يدعو إلى ذمّ السكر ومحاربة الإدمان.

جاء في العهد الجديد[٤٩]:

«... ولاتسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة»

وجاء أيضاً[٥٠]:

«... أما الآن فكتبت إليكم إن كان أحد مدعوّاً أخاً زانيا أو طمّاعا، أو عابد وثن، أو شتّاماً، أو سكيراً، أو خاطفاً أن لاتخالطوا ولاتؤاكلوا مثل هذا».

وإلى جانب استخدام العرب النبيذ للنشوة والسكر، كانوا يستخدمونه أيضاً في

---

(٤٦) ـ الكتاب المقدس العهد الجديد، إنجيل يوحنا، طبعة عام ١٩٥٤ لجمعيات الكتاب المقدس المتحدة، الإصحاح الثاني، الصفحة:١٤٧

(٤٧) ـ المصدر السابق، العهد القديم، مزامير داوود المزمور رقم:،١٠٤ الصفحة:٩٠٤ .

(٤٨) ـ المصدر السابق، العهد الجديد، رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس، الأصحاح الخامس، الصفحة:٣٤٢

(٤٩) ـ المصدر السابق، العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهالي أفَسُسْ الأصحاح الخامس، الصفحة:٣١٧

(٥٠) ـ المصدر السابق، العهد الجديد رسالة بولس إلى أهل كورنتوس، الأصحاح الخامس، الصفحة:٧٣

تحلية مياه الشرب التي يحصلون عليها من الآبار. فكانوا يلقون التمر والزبيب أو ماشابه ذلك لمعالجة هذه المياه بما يُطيبها ويحليها لأن مياههم فيها ملوحة وغلظ. وبهذه الطريقة كان أهل مكة يلطفون ماء زمزم.

ويُقال ان العباس بن عبد المطلب(٥١) عم النبي محمد، وأحد الشخصيات الرئيسة في المجتمع المكي وممثلاً لهاشم في إدارة مكة، لابحكم سنه فهو لم يكن أكبر إخوته، بل لثرائه الواسع، لأنه أغنى أبناء عبد المطلب بن هاشم، يقال انه كان يجمع الأزهار من حدائق كانت له في الطائف(٥٢) ويلقيها في بئر زمزم في موسم الحجّ.

---

(٥١) ـ كان العباس من كبار الملاك والتجار، كدَّس ثروة طائلة من الربا. وكان له إلى جوار تجارته الواسعة بساتين في الطائف. وبقي يرفض الإسلام حتى وفاته، على الرغم من نُصرته لابن أخيه في أكثر من مناسبة. نقلاً عن اليمين واليسار في الإسلام، أحمد عباس صالح،الصفحة: ٣٢ .

علماً أن مصادر إسلامية أخرى أكدت على إسلام العباس بعد معركة بدر التي حارب فيها قسراً مع قريش فأسر وفدى نفسه، ثم أسلم وبقي إسلامه سراً. بينما مصادر أخرى تقول: أن العباس كان قد أسلم سراً ثم أعلن إسلامه بعد معركة بدر. والرأي المرجح والمقبول هو ماذكره أحمد عباس صالح: أن العباس بقي يرفض الإسلام حتى وفاته. كان العباس مسؤولاً عن سقاية الحجيج في الجاهلية وبقي له ذلك في الإسلام. والسقاية ليست عملاً هيناً كما يبدو لأول وهلة. لأن الماء كان في مرتبة الطعام من حيث الأهمية لقلته في مكة، ولضرورة تنظيم توزيعه.

٥٢ ـ الطائف: كانت أراضي الطائف من الأراضي الغنية والخصبة. وكان المكيون يزرعون فيها محاصيل مختلفة في مقدمتها العنب إذ كان يُصدَّر منه كل عام ثلاثمئة راحلة من الزبيب. عن «اليمين واليسار في الإسلام» أحمد عباس صالح، الصفحة: ١٩ .

الفصل الأول

الخمرة في التنزيل

١ ـــ ما هي الخمرة؟

وقبل أن نستعرض موقف التعاليم الدينية من تعاطي الخمرة لابُدَّ من تعريفها وتبيان بعض أنواع المشاريب الكحولية المتداولة.

الخمر في اللغة كما يقول ابن فارس[1]: الخاء والميم والراء أصل واحد يدل على التغطية والمخالطة في ستر. والخمر: الشراب المعروف، واختمارها : إدراكها وغليانها. ويقال دخل في خمار الناس وخمرهم أي زحمتهم. وأصله ماوارى الإنسان من شجر. وخُمرتها: ماغشيَ المخمور من الخُمار والسكر في قلبه. والخمار: خُمار المرأة والتخمير التغطية، ويقال خمَّرت العجين، وهو أن تتركه فلا تستعمله حتى يجود. ويقال خامره الداء، إذا خالط جوفه، ويقال: ووجدتُ

---

(١) ـ ابن فارس: هو أبو الحسين أحمد بن فارس، من رستاق الزهراء قرية كرسف. أقام بهمذان فترة ثم تنقل في عدد من البلاد طلباً للعلم شأن طلاب العلم في ذلك الزمان. ولما اشتهر أمره وذاع صيته انتقل إلى الري حتى توفي فيها عام ٣٩٥ للهجرة كما ذكر القفطي في أنباء الرواة. عرف عن ابن فارس معرفته الواسعة في اللغة العربية. وكتابه «المجمل» لايقل في الشهرة عن كتاب العين، والجمهرة والصحاح. وله مؤلفات عديدة دينية ولغوية من أهمها «معجم مقاييس اللغة» الذي ينفي فيه وجود الترادف في اللغة العربية. وكان ابن فارس شاعراً أيضاً. وشعره ينم عن ظُرفه وحسن تأتيه في الصنعة على طريقة شعراء دهره.

منه خمرة طيبة، وهو الرائحة.

والمخامرة: المقاربة. والخمرة شيء من الطيب تطلي به المرأة على وجهها ليحسن به لونها»[٢].

ويقول ابن الأعرابي[٣]:

«... وسُميت الخمر خمراً لأنها تُركت فاختمرت، واختمارها تغير ريحها. ويقال: سميت بذلك لمخامرتها العقل»[٤].

ومن الناحية العلمية فالخمرة: هي كل عصير ينتج عن تخمر المواد السكرية والنشائية. بعد فورانها وظهور زبدتها (رغوتها). مثل تخمر العنب والتمر والأرز والدخن والشعير والذرة والحنطة، وقصب السكر، والعسل والتفاح والتين وغيرها من الفواكه.

أما من الناحية الكيميائية: فالخمرة هي كل عصير يحتوي مادة الكحول الأتيلي التي تتفاوت ونوع المشروب، وقد يُطيَّب بأصناف من العطور والأباريز.

وقديماً كانت الخمرة تُطلق على كل مايُعصر من العنب ثم يُصفى ويوضع في الرواقيد[٥] ويُخمر في جرار ودنان[٦] مزفَّتة توضع مدة في الشمس ثم في ظل

(٢) ـ معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، المجلد الثاني الصفحة:٢١٥

(٣) ـ ابن الأعرابي: محمد بن زياد اللغوي. ولد في الكوفة عام٧٦٧ للميلاد، وتوفي في سامراء عام ٨٤٤ ميلادية. أخذ عن المفضل الضبي زوج أمه، واشتغل في التدريس ببغداد. عُرف باللغة والنحو ورواية الشعر. وقيل أن أباه من أصل هندي، وأنه تثقف بالثقافة العربية. ونَشَر الأفكار الهندية.

(٤) ـ لسان العرب: جمال الدين بن منظور المصري الأفريقي، المجلد الرابع، الصفحة ٢٥٥ .

(٥) ـ الرواقيد: مفردها راقود. وهو دن كبير طويل الأسفل يُطلى من داخله بالقار.

(٦) ـ الدنان: مفردها دنٌّ، آنية من الفخار تُطلى من الداخل بالقار. تعتق الخمرة فيها لمدد متفاوتة.

لا يطاله هواء حتى يُصبح عصيره مسكراً. أو كل ماأسكر من عصير العنب. و«مالم يُعمل من عصير العنب حتى يشتد لايُسمى خمراً»[٧].

يقول الطبرسي[٨]:

«... الخمر عصير العنب المُشتدُّ، وهو العصير الذي يسكر كثيره ويسمى خمراً لأنها تغطي بالسكر على العقل»[٩].

أما النبيذ، فهو العصير أو النقيع الذي تُرك مدة حتى فار وظهرت زبدته أي رغوته. أو «كُلُّ ما يُنبذ في الدُّبّاءِ[١٠] والمزفت فاشتد حتى يُسكر كثيره ومالم يشتد فلا يُسمى نبيذاً»[١١].

وتنقسم المشروبات الروحية أو الكحولية في الوقت الحاضر إلى قسمين:

أولاً: خمور غير مقطرة

تُستخرج هذه الخمور من تخمير بعض الثمار والفواكه، مثل عصير العنب والتفاح، ومناقيع الشعير والذرة والحنطة وغيرها، كالنبيذ والسيدر والجعة (البيرة) إلى آخره.. وتتراوح نسبة الكحول فيها من ٥ ـ ٢٥ في المئة.

ثانياً: خمور مقطرة

وهي أشربة روحية تستخرج من تقطير الخمور بعد أن تمر بعمليات تخزين

---

(٧) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٥٩ .

(٨) ـ الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي. توفي عام ٥٢٨ للهجرة/١١٥٣ ميلادية. ويعرف بالطبرسي الكبير مفسر القرآن. له«مجمع البيان في تفسير القرآن» وهو من التفاسير المعروفة عند الشيعة.

(٩) ـ مجمع البيان في تفسير القرآن. أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المجلد الرابع، الصفحة:٢٣٩

(١٠) ـ الدُّبَّاء: القرع واحدها دبَّاءة، كانوا ينبذون فيها فتسرع الشدة إلى الشراب.

(١١) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة: ٥٩ .

وتقطير ترفع نسبة الكحول فيها، كالعرق من تقطير العنب والكونياك من تقطير الخمرة البيضاء والويسكي والجن من تقطير الحبوب كالبطاطا والشعير والشوفان والذرة وبعض أنواع الفراولة. والروم من تقطير خمر قصب السكر وغيرها من المشروبات المقطرة التي تتراوح نسبة الكحول فيها من ٢٥ ـ ٥٥ في المئة.

٢ ـ المرحلة المكية وآية تحليل شرب الخمر

بعد هذه النبذة الوجيزة أستعرض الموقف من الخمر، ومدى تحريمها، هل هي محرمة بشكل مطلق؟ أم يوجد منها ماهو محرم ومنها ما هو مباح يحل تناوله؟ من قال بالتحريم، ومن هم الفاعلون الاجتماعيون الذين كانوا وراء التحريم القطعي؟. ولمصلحة مَنْ مِن القوى والفئات كان هذا التحريم؟. ثم هل الدعوة إلى اجتنابها والامتناع عن شربها تعني التحريم أم ماذا؟. وهل طبق مفهوم التحريم عملياً خلال توالي العصور الإسلامية ابتداءً من وفاة الرسول حتى سقوط إمبراطورية الرجل المريض ذات البرقع التديني الإسلامي!.

يستفاد من وقائع «تحريم» الخمرة في المصحف أن فكرة الدعوة إلى اجتنابها والامتناع عن شربها لم تكن واردة في المرحلة المكية من الدعوة الإسلامية التي استمرت ثلاث عشرة سنة[١٢] . بل على العكس كان المسلمون يشربون الخمرة ـ خلال هذه الفترة ـ كما يشربها الناس الآخرون. حتى ان الله قد ذكر في معرض تعداد ماخلق للناس من أشربة سائغة يتخذونها من الأنعام والأثمار ويتمعتون بها حلالاً طيباً الشراب المسكر الذي يصنعون من ثمار النخيل والعنب وامتن به عليهم.

(١٢) ـ من المفيد التذكير ببعض التواريخ في حياة الرسول وهي: نزول الوحي على الرسول سنة ٦١٠ ميلادية، هجرة الرسول إلى المدينة سنة٦٢٢ ميلادية، فتح مكة سنة ٦٣٠ ميلادية، حجة الوداع سنة ٦٣١ ميلادية وفاة الرسول، سنة ٦٣٢ ميلادية.

جاء في المصحف[١٣]:

«... ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآيةً لقوم يعقلون».

يقول ابن كثير[١٤]:

«...إن الله عندما ذكر مايتخذه الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب، وماكانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه، دلَّ على إباحته شرعاً قبل تحريمه، ودلَّ على التسوية بين المسكر المتخذ من النخيل والمتخذ من العنب»[١٥]:

وفي معرض تفسير ابن كثير قول الله (سَكَراً ورزقاً حسناً)، إن المقصود من السَكَر هو الخمرة، قال: قال ابن عباس السَكَر ماحرَّم الله من ثمرتيهما، والرزق الحسن ماأحلَّ من ثمرتيهما، وفي رواية السَكَر حرامه والرزق الحسن حلاله، يعني مايبس منهما من تمر وزبيب وماعمل منهما من طلاء وهو الدبس وخل ونبيذ حلالٌ يشرب قبل أن يشتدَّ»[١٦].

وكتب الطبرسي يقول[١٧]:

---

(١٣) ـ الآية رقم ٦٧ من سورة النحل، وهي السورة سبعون في المصحف. نزلت بعد الكهف وقبل نوح، عدد آياتها ١٢٨ آية، جميعها نزلت في مكة ماعدا الآيات الثلاث الأخيرة نزلت في المدينة.

(١٤) ـ ابن كثير: هو الإمام الجليل الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير الشافعي المتوفي سنة ٧٧٤ للهجرة. وصاحب تفسير القرآن العظيم.

(١٥) ـ تفسير القرآن العظيم: للإمام الجليل إسماعيل بن كثير، المجلد الثاني، الصفحة:٥٤٧ .

(١٦) ـ تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، المجلد الثاني، الصفحة:٥٧٥

(١٧) ـ مجمع البيان في تفسير القرآن: مصدر سابق، المجلد السادس الصفحة:٣٧١

«... ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سَكَراً أو رزقاً حسناً. فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه، والأعناب عطف على الثمرات، أي ومن الأعناب شيء تتخذون سكراً. وهو كل مايسكر من الشراب كالخمر. والرزق الحسن ماأحلّ منهما كالخل والزبيب والرطب والرب والتمر. عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتاده ومجاهد وغيرهم».

واستمر شرب الخمرة من قبل المسلمين عدة سنوات بعد الهجرة تتراوح بين الثلاثة والثمانية تبعاً لاختلاف الروايات(١٨) . علماً أن بعض الأحاديث إذا صحّت تشير إلى أن مايُسمى بمفهوم «تحريم» الخمر وقع بعد معركة أحد(١٩).

كتب ابن كثير نقلاً عن البخاري(٢٠) يقول:

---

(١٨) - من قاموس التراث: هادي العلوي، الصفحة:١٠٦

(١٩) - حدثت معركة أحد سنة ٦٢٥ ميلادية. بعد ثلاث سنوات من الهجرة إلى المدينة.

(٢٠) - البخاري: هو محمد بن إسماعيل الجعفي، ولد في بخارى سنة ١٩٤ للهجرة/ ٨١٠ ميلادية، وتوفي في سمرقند سنة ٢٥٦ للهجرة/ ٨٧٠ ميلادية. محدث، حافظ، فقيه، مؤرخ.

بدأ حفظ الحديث وهو في العاشرة، وحفظ منه الكثير. استنّ في جمعه وهو المنهجي المنظم سُنّة جديدة. فرحل إلى الأقطار والأمصار في طلب الرواة والحفاظ، وقضى ستة عشرة عاماً زار فيها خراسان والعراق والحجاز ومصر والشام، وقابل خلالها (١٠٨٠) شخصاً وجمع ٦٠٠,٠٠٠ حديث. وجد منها بالاعتماد على منهجه في التحقيق (٥٩٢٧٢٥) حديثاً مكذوباً متداولاً و ٧٢٧٥ حديثاً صحيحاً بعضها مكرراً.

علماً أن البخاري قام بهذا العمل الجليل بعد أقل من مائتي سنة على وفاة النبي. حاول عندما وضع كتابه«الجامع الصحيح» أن يقتصر على الأحاديث الصحيحة غير المتكررة والتي يتصل سندها من الراوي إلى النبي شرط أن يكون الراوي عدلاً ضابطاً. فبقي لديه حوالي أربعة آلاف حديث صحيح غير متكرر برأيه. نقلاً عن «فتح الباري لابن حجر العسقلاني» الجزء الأول. ومن كتب البخاري أيضاً:«الجامع الكبير» و«المسند الكبير» و«التاريخ في تراجم رجال الإسناد والحديث».

«... حدثنا صدقه بن الفضل، أخبرنا ابن عُيينه عن عمرو بن جابر

قال: صَبَحَ أناس غداة أُحُد الخمر فقتلوا من يومهم شهداء وذلك قبل تحريمها»[٢١].

٣ ــ آية منافع الخمرة ومضارها

حصلت بعد الهجرة إلى المدينة بسنوات أحداث متعددة بين المسلمين بسبب انتشار مجالس الشراب وإدمان بعض المسلمين على شرب الخمر والسكر الشديد.

ربما كان منها مشاركة بعض فرسان المسلمين ـ وهم سكارى ـ في معركة أحد ومقتل بعضهم. لقد طرحت هذه الحادثة وربما أحداث غيرها أيضاً تساؤلات بين المسلمين عن فوائد الخمر ومضارها، فنزلت الآية الأولى في الخمر كما قال ابن عمر والشعبي ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٢٢].

جاء في التنزيل[٢٣]:

«... يسألونك عن الخمر والميسر، قُلْ فيهما إثم كبيرٌ ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما».

وفي مجرى شرح مدلول هذه الآية حدد ابن كثير في تفسيره معنى الإثم والنفع قال: «أما إثمهما فهو في الدين والعقل لأنها تخامر العقل، أما المنافع فدنيوية من حيث ان فيها نفع البدن وتهضيم الطعام، وإخراج الفضلات وتشحيذ بعض الأذهان، ولذة الشدة المطربة التي فيها قال حسان بن ثابت في جاهليته:

---

(٢١) ـ تفسير القرآن العظيم: مصدر سابق، المجلد الثاني، الصفحة:٥٩

(٢٢) ـ تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، المجلد الأول، الصفحة:٢٥٦

(٢٣) ـ الآية رقم ٢١٩ من سورة البقرة، وهي أول سورة نزلت في المدينة. عدد آياتها ٢٨٦ جميعها مدنية إلاَّ الآية رقم٢٨١ نزلت بمنى في حجة الوداع.

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأُسْداً لاينهنهنا اللقاء»[٢٤]

ويُستدل من قول بعض المفسرين أن عدداً من المسلمين امتنعوا عن شرب الخمرة بعد نزول هذه الآية؟!، وقالوا: لاحاجة لنا في تعاطيها ولا في شرب شيء فيه إثم كبير. بينما استمر آخرون على شربها يستمتعون برحيقها وينعمون بمنافعها. وكان عمر بن الخطاب[٢٥] يشرب على طعامه الصلب (نبيذاً من التمر) ويقول «يُقطِّعُ هذا اللحم في بطوننا»[٢٦]. وقيل لما قرئت عليه هذه الآية قال: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً»[٢٧].

٤ ـ قبول صلاة شارب الخمر

وحدث أن شرب جماعة من الصحابة حتى أدركتهم صلاة المغرب فقاموا إليها

(٢٤) ـ تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول، الصفحة:٢٥٦

(٢٥) ـ **عمر بن الخطاب**: من مَيْسوريّ بني عدي وأحد وجوه الزعامة القرشية المهيمنة في الجاهلية كممثلة لكبار التجار والمرابين من أصحاب الملأ المكي وأركان دار الندوة. يُقال انه تولى السفارة بين قريش وغيرها من البلدان والقبائل.

كان أحد الأعضاء المقربين في اجتماع السقيفة، لذلك لم يشهد مراسيم دفن الرسول. أصبح ثاني خليفة راشدي، استمر حكمه عشر سنوات. في أيامه فتح المسلمون إيران ومصر ويعود له الفضل في تنظيم الإدارة المالية للجيش.

عُرف عن عمر مواقف متميزة في اجتهاد الأحكام تبعاً لتغير المصلحة بتغير الأزمان على الرغم من وجود نص في المصحف علماً أنه استخلف بعد أقل من ثلاث سنوات على وفاة الرسول. ومن هذه المواقف موقفه في منع العطاء من الزكاة عن المؤلفة قلوبهم، وفي منع التسوية بين المهاجرين والأنصار في تقسيم العطاء وتحريم متعة الحج ومتعة النساء وإلغائه لحق الفاتحين في اقتسام الأراضي المفتوحة مثل العراق وفارس ومصر ومنعه قطع يد السارق في أيام المجاعة وغيرها... توفي بعد أن طعنه أبو لؤلؤة فيروز مولى المغيرة بن شعبة في المسجد عام ٢٣ للهجرة ٦٤٢ ميلادية.

(٢٦) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٧٢

(٢٧) ـ تفسير القرآن العظيم: مصدر سابق، المجلد الأول، الصفحة:٢٥٥

وهم سكارى، فخلطوا في تلاوة بعض الآيات، فنزلت الآية الثانية في الخمر تمنع المسلمين من أداء فريضة الصلاة وهم في حالة السكر، وتتضمن أحكاماً أخرى.

تقول الآية(٢٨):

«... يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولاجُنباً إلاَّ عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيبا. فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفُوًّاً غفورا».

كتب ابن كثير يقول(٢٩):

«... حدثنا المثنى حدثنا الحجاج بن المنهال، حدثنا ابن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن حبيب وهو أبو عبد الرحمن السلمي أن عبد الرحمن بن عوف(٣٠) صنع طعاماً وشراباً فدعى نفراً من أصحاب النبي فصلى بهم المغرب

---

(٢٨) ـ الآية رقم: ٤٣ من سورة النساء. رقم هذه السورة حسب تسلسل نزول السور(٩٢) نزلت بعد الممتحنة وقبل الزلزلة، عدد آياتها: ١٧٦ جمعها نزلت في المدينة.

(٢٩) ـ تفسير القرآن العظيم: مصدر سابق، المجلد الأول، الصفحة:٥٠٠

(٣٠) ـ عبد الرحمن بن عوف: من أغنى أغنياء قريش، أدخله أبو بكر في الإسلام، وكان يحرك أداة الحكم بواسطة غيره ولايتصدر السلطة. أحد الأعضاء الستة الذين عينهم عمر ليختاروا خليفة من بينهم وقال: «إذا اختلفتم وتساوت الأصوات فكونوا بالشق الذي فيه عبد الرحمن بن عوف».

كان بالغ الثراء منذ عهد النبي وأن النبي قال له مرة: «إنك غني ومأأراك تدخل الجنة إلاَّ زحفاً، فأقرض الله قرضاً حسناً يُطلق لك قدميك». عن العالم مادة وحركة: غالب هلسا، الصفحة:٣٦ . والظاهر أنه ترك ثروة هائلة بعد وفاته قدرت بـ«ألف بعير وعشرة آلاف شاة ومئة فرس، ومزرعة بالجرف تسقى بعشرين ناضح وذهباً مصبوباً في سبائك قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال» عن كتاب الذخائر والتحف للرشيد بن الزبير الصفحة:٢٠٤ ومابعدها. ويقول المسعودي أن ←

فقرأ: «قل ياأيها الكافرون أعبد ماتبعدون وأنتم عابدون ماأعبد، وأنا عابد ماعبدتم»(٣١).

جاء في مصادر التفسير أن المسلمين امتنعوا بعد نزول هذه الآية عن شرب الخمر وقت الصلاة لكنهم استمروا على شربها خارج أوقات الصلاة، حتى كان «يأتي أحدهم الصلاة وهو مُغبقٌ»(٣٢). وكان منادي الرسول «إذا قال حيَّ على الصلاة نادى لايقربن الصلاة سكران»(٣٣) . ولما تلا النبي هذه الآية على عمر قال عمر: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً»(٣٤).

٥ ـــ آيتا النهي عن شرب الخمر

وبسبب انتشار حلقات الشراب ومجالس السكر ومابدأ ينجم عنها من استعار النزعات القبلية وبعث الأحقاد القديمة بين القبائل، مثل الخلاف الذي نشب بين الأوس والخزرج وأوشك أن يؤدي إلى فتنة بين القبيلتين المتنازعتين عندما سكر رجال منهما وتذاكروا أيامهم الدامية قبل الإسلام، ومأأنشدوا فيها من أشعار. وكيف «أن أبا بكر(٣٥) شرب قبل أن تحرم الخمر فسكر، فجعل يقول الشعر

← سبائك الذهب أخرجت بعد وفاته إلى مجلس عثمان وكومت على الأرض فحالت بين الجالسين لارتفاعها.

(٣١) ـ ذكرت مصادر التفسير في رواية عن ابن جرير عن ابن حميد، عن جرير بن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي أن الشخص الذي تقدمهم في الصلاة وخلط في تلاوة الآية هو الإمام علي. بينما لم تحدد رواية ثالثة رويت عن الإمام علي اسم الشخص الذي تقدمهم في الصلاة وأخطأ في قراءة الآية.

(٣٢) ـ تفسير القرآن العظيم: مصدر سابق، المجلد الثاني، الصفحة:٩٢

(٣٣) ـ المصدر السابق: المجلد الثاني، الصفحة:٩٢

(٣٤) ـ المصدر السابق: المجلد الأول، الصفحة:٥٠٠

(٣٥) ـ أبو بكر الصديق: هو عبد الله بن أبي قحافة، وعرف بأسماء كثيرة أشهرها، أبو بكر، وعتيق والصديق. ولد في السنة الثانية أو الثالثة من عام الفيل/٥٧٣ ←

ويبكي على قتلى المشركين من أهل بدر[٣٦]. فسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اللهم أمسك على لسانه فأمسك فلم يتكلم حتى ذهب عنه السكر»[٣٧].

وكذلك «سكر الحمزة عم النبي مع جماعة من المهاجرين والأنصار فقام

← للميلاد، فهو أصغر من النبي بنحو سنتين. كلا أبويه من بني تَيْم، وهم قوم اشتهر رجالهم بالدماثة والأدب واشتهرت نساؤهم بالدَّل والحظوة. كان صادق الطبع ومستقيم الضمير، عرف الناس فيه الصدق من أيام الجاهلية لأنه كان يضمن المغارم والديات فيصدقونه ويعتمدون على وعده ويركنون إلى وفائه. كان مطبوعاً على الحماسة عصبي المزاج دقيق البنية خفيف اللحم صغير التركيب.

اشتغل بالتجارة وكان ذو يسار، صاحب محمد قبل الرسالة، وكان أول من آمن به من الرجال. أدخل في الإسلام فريقاً من خاصته جميعهم من الأثرياء في مقدمتهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة الجراح. وعبد الرحمن بن عوف...

رافق النبي في غار حراء، هاجر معه إلى المدينة وشهد معه جميع الغزوات. زوجه ابنته عائشة. حج بالمسلمين في السنة التاسعة نيابة عن النبي، وأَمَّ فيهم الصلاة أثناء مرضه. انشغل في مناقشات السقيفة ولم يحضر مراسيم دفن الرسول. تولى الخلافة بعده من سنة ١١ - ١٣ للهجرة / ٦٣٢ - ٦٣٤ ميلادية، فكان أول الخلفاء الراشدين. وجه الجيوش لفتح العراق والشام. توفي عام ١٣ للهجرة / ٦٣٤ ميلادية.

تذكر المصادر الإسلامية مواقفَ لأبي بكر خالف فيها نصوصاً صريحة في القرآن فرضتها عليه مصالح وحدة المسلمين والمحافظة على شكل السلطة السياسية الذي انبثق عن الصراع القبلي في سقيفة بني ساعدة، فحارب مانعي الزكاة من المسلمين وقتَّل فيهم وسبى نساءهم، وأصدر أوامر بإحراق المرتدين وقد روى الطبري كتابين له في هذا المعنى، كما نقل وقائع نفذت فيها أوامره.. وغيرها من المواقف.

(٣٦) - وقعت معركة بدر بعد سنتين من الهجرة إلى المدينة، في عام ٦٢٤ للميلاد.

(٣٧) - تفسير الصافي: محمد محسن بن الشاه مرتضى الملقب بالفيض الكاشاني، المجلد الثاني، الصفحة:٨٢

يفاخرهم ويتطاول عليهم مما اضطر النبي إلى التوجه إليه بنفسه حتى يتدارك الفتنة»[٣٨] .

ومنها «إنشاد سعد بن أبي وقاص[٣٩] في حلقة شراب شعراً في هجاء الأنصار وهو سكران وغيرها من الحوادث والأحداث التي أقلقت الرسول وصحبه، وكادت أن تودي إلى متاعب سياسية متعددة وشائكة أمام النبي وبعض أركان قيادته، وبشكل خاص عمر بن الخطاب الذي قيل انه بدا من أشدّ المهمومين بهذه المعضلة»[٤٠].

انطلاقاً من هذه الأحداث، وربما من غيرها، أكّدَ المفسرون أن الله أنزل على الرسول الآيتين التاليتين حول الخمرة.

جاء في سورة المائدة[٤١]:

«يأأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب[٤٢] والأزلام[٤٣] رجسٌ[٤٤] من

(٣٨) ـ من قاموس التراث: هادي العلوي، الصفحة:١٠٧

(٣٩) ـ سعد بن أبي وقاص: من بني زهرة وأحد أغنياء قريش . أدخله أبو بكر في الإسلام صحابي كبير وقائد عظيم وأحد الذين بشرهم الرسول في الجنة لدوره الكبير في المعارك الإسلامية الهامة. أحد أعضاء مجلس الشورى الذي شكله عمر بن الخطاب لترشيح واختيار خليفة من بين أعضائه في مدة أقصاها ثلاثة أيام. عين من قبل عثمان والياً على الكوفة ثم عزله وعين مكانه أحد أقاربه من بني أمية.

(٤٠) ـ من قاموس التراث، مصدر سابق، الصفحة:١٠٧

(٤١) ـ الآية تسعون والآية احدى وتسعون من سورة المائدة. رقم هذه السورة حسب تسلسل نزول السور ١١٢ ، نزلت بعد الفتح وقبل التوبة، عدد آياتها ١٢٠ جميعها مدنية إلاّ الآية رقم ٣ نزلت بعرفات بعد حجة الوداع.

(٤٢) ـ الأنصاب: حجارة تنصب حول الكعبة يُذبح عليها للأصنام، بمعنى مذبح وثني.

(٤٣) ـ الأزلام: القداح التي يستقسمون بها، وهي استخارة شائعة في الجاهلية. وعن ابن منظور هي:السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها. لسان العرب ←

عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون».

كتب ابن كثير يقول[٤٥]:

«... قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو الحسين بن بسران، أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفّار، حدثنا محمد بن عبد الله المنادي، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شُعبة عن سماك عن مصعب بن سعد عن سعد قال: وضع رجل من الأنصار طعاماً فدعانا فشربنا الخمر قبل أن تحرم حتى انتشينا، فتفاخرنا. فقالت الأنصار نحن أفضل، وقالت قريش نحن أفضل فأخذ رجل من الأنصار لحى جذور[٤٦] فضرب به أنف سعد ففزره، وكانت أنف سعد مفزورة. فنزلت (إنما الخمر والميسر) إلى قوله تعالى (فهل أنتم منتهون). أخرجه مسلم من حديث شعبة»

وكتب الإمام الواحدي[٤٧] في أسباب النزول يقول[٤٨]:

← المجلد الثاني عشر الصفحة:٢٧

(٤٤) ـ الرِّجْسُ: من رَجَس ورَجِسَ. يقول ابن فارس: «رَجَس: الراء والجيم والسين أصل واحد يدل على اختلاط. يُقال: هم في مرجوسة من أمرهم أي في اختلاط (عن معجم مقاييس اللغة لابن فارس المجلد الثاني، الصفحة:٤٩٠) . كما أنها تتضمن معنى الشك أي الاختلاط أيضاً.«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت».

(٤٥) ـ تفسير القرآن العظيم: مصدر سابق، المجلد الثاني، الصفحة:٩٥

(٤٦) ـ الجَذور: بالفتح. وهي من الإبل ماكمل خمس سنين ودخل في السادسة، ويقع على الذكر والأنثى.

(٤٧) ـ الواحدي: هو الإمام الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفي سنة ثمان وستين وأربعمائة للهجرة. كان أستاذ عصره في علم النحو والتفسير، وله ثلاثة كتب في تفسير القرآن هي: البسيط والوسيط والوجيز.

(٤٨) ـ أسباب النزول: للإمام الواحدي، تحقيق الدكتور السيد الحميلي، الصفحة: ١٦٨ ومابعدها.

«... أخبر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى عن... قال: أخبرني علي بن الحسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب قال:

كانت لي شارف[٤٩] من نصيبي من المغنم يوم بدر. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفاً من الخمس، ولما أردت أن أبتني[٥٠] بفاطمة ابنة رسول الله (ص) واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بأذخر أردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به في وليمة عرس، فبينا أنا أجمع لشارفيَّ من الأقتاب[٥١] والغرائر والحبال، وشارفاي مُنَاخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار فإذا أنا بشارفيَّ قد أجبت اسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما. فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر.

قلتُ: من فعل هذا؟

فقالوا: فعله حمزة وهو في البيت في شرب من الأنصار عنده قينة وأصحابه....

قال علي عليه السلام: فانطلقت حتى أدخل على النبي (ص) وعنده زيد بن حارثة.

قال: فعرف رسول الله (ص) الذي لقيت

فقال: مالك؟

فقلت: يارسول الله مارأيت كاليوم، عدا حمزة على ناقتيَّ وَجبَّ اسنمتهما، وبقر خواصرهما، وهاهو ذا في بيت مع شرب.

قال: فدعا رسول الله (ص) بردائه ثم انطلق يمشي فاتبعت أثره أنا وزيد بن حارثة حتى جاء إلى البيت الذي هو فيه فاستأذن فأذن له: فإذا هم شربٌ فطفق

---

(٤٩) ـ الشارف: الناقة المسنة الهرمة.

(٥٠) ـ ابتني: أتزوج.

(٥١) ـ الأقتاب: مفردها القِتْبُ والقَتَبُ: الرحل.

رسول الله (ص) يلوم حمزة فيما فعل. فإذا حمزة ثمل محمرة عيناه. فنظر حمزة إلى رسول الله (ص) ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال: وهل أنتم إلا عبيد أبي. فعرف رسول الله (ص) أنه ثمل، فنكص على عقبيه فخرج وخرجنا رواه البخاري عن أحمد بن صالح..».

قال الإمام أحمد[٥٢]: لما نزلت هاتان الآيتان دُعي عمر فقرئتا عليه فلما بلغ قول الله تعالى: (فهل أنتم منتهون) قال عمر: «انتهينا انتهينا»[٥٣]. ويقال ان هاتين الآيتين نزلتا في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة»[٥٤].

يُفهم من منطوق هاتين الآيتين من سورة المائدة وهي سورة مدنية كلها في قول ابن عباس ومجاهد، وقيل إلاَّ قوله: «اليوم أكملت لكم دينكم...» فإنه نزل في حجة الوداع[٥٥]، وكذلك من منطوق الآية السابقة رقم٤٣ من سورة النساء: «يأأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى...» تحبيذ اجتناب شرب الخمرة والنهي عن معاقرتها في أوقات الصلاة، اذ ربط مفهوم الاجتناب بأداء فريضة الصلاة. لأن الاستمرار على شرب الخمرة يصُدُّ عن الصلاة وذكر الله، واجتناب شربها في أوقات الصلاة يساعد على كسر عادة المعاقرة التي تسبب الإفراط في الشراب خوفاً من الإدمان.

---

(٥٢) ـ أحمد بن حنبل: ولد وتوفي في بغداد ١٦٤ للهجرة/٧٨٠ ميلادية ـ ٢٤١ للهجرة/ ٨٥٥ ميلادية عربي شيباني تربى يتيماً ونشأ نشأة دينية. وجه إلى العمل في الديوان فعافه وانصرف إلى الحديث. محدث فقيه متكلم وأحد الأئمة السنية الأربعة يُنسب إليه المذهب الحنبلي. رحل إلى الشام واليمن والحجاز في طلب الحديث. قاوم المعتزلة فسجن وعذب ولم يرفع عنه العذاب إلاَّ في آواخر عهد الواثق. اتصف بشدة تمسكه بالنزعة السلفية ومخالفته للرأي. له المسند المشتمل على ثلاثين ألف حديث. وعن مذهبه قال الشاعر:

أنا حنبليٌ ماحييتُ وإن أمت ــ فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

(٥٣) ـ تفسير القرآن العظيم: مصدر سابق، المجلد الثاني الصفحة:٩٢

(٥٤) ـ المكيفات مصدر سابق الصفحة: ٦٧

(٥٥) ـ تفسير الصافي: مصدر سابق، المجلد الثاني، الصفحة: الخامسة.

هذا الأمر يتطلب منا أن نفرق بين الاستمتاع بلذة نشوة الخمرة ونعيم شرب القليل المعتدل من رحيقها، وبين السقوط في براثن الإدمان والسكر الشديد. لأن الإدمان من الأفعال القبيحة، ومجتمع المدمنين مجتمع متخلف متباغض متفسخ، مجتمع هزيل لايُرتجى منه نفع. وهذا مايفعله أهل الأرض قاطبة من مختلف الديانات والانتماءات في محاربة الإدمان ومعالجة المدمنين.

ولايُفهم أبداً من منطوق هاتين الآيتين معنى تحريم الخمرة أو نسخ أحكام الآية رقم ٢١٩ من سورة البقرة التي قالت بوجود منافع للناس في الخمرة، وكذلك نسخ الآية رقم ٤٢ من سورة النساء التي يفهم من منطوقها قبول صلاة شارب الخمر، ونصت على أحكام أخرى تُعَدُّ بإجماع المفسرين غير منسوخة.

الفصل الثاني

مفهوم النسخ: عرض ومناقشة دلالات وأحكام

١ ـــ النسخ طبيعته ودلالاته

النسخ موضوع بالغ التعقيد في علم أصول الدين والشريعة اختلف الفقهاء حوله وحول الآيات المنسوخة والآيات غير المنسوخة (المحكمة). وهل يمكن لآية معينة أن تُنسخ من قبل آية أو آيات أخرى؟. وكذلك هل يمكن للسنة النبوية أن تنسخ حكماً قرآنياً؟.

ولكن مهما كان الاختلاف بين الفقهاء واسعاً حول مفهوم النسخ إلاَّ أن إقرارهم بحدوثه يجعل منه ظاهرة منتصبة القامة ومعلماً رائد الوضوح يؤكد جدلية العلاقة بين الوحي والواقع، ويتضمن معنى الإقرار بقانون التطور الذي يتضمن مراعاة الحاجة الموضوعية الداعية لتشريع ما. لأن صدور تشريع ما وبقاءَه أو زواله رهن بوجود هذه الحاجة وبقائها أو زوالها.

وأن الحاجة الداعية لتشريع ما تتغير وفقاً للظروف الموضوعية التي هي بطبيعتها متغيرة، وليس من حاجة ثابتة لأن الظروف التي تخلق الحاجة ليست ثابتة بل في تغير وتطور دائمين.

لقد قبل غالبية الفقهاء بمبدأ النسخ ذاته وقالوا بنوعين من النسخ: **النوع الأول** يقول بنسخ الحكم والتلاوة، أي إلغاء الحكم وعدم تثبيت النص في المصحف اذ

قالوا بوجود آيات ذكر النبي عليه الصلاة والسلام في وقت ما أنها من القرآن، ثم ذكر فيما بعد أنها ليست منه.

كتب جلال الدين السيوطي يقول[1]:

«... وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر قال: قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكانا يقرأان بها فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فأصبحا غاديين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال: إنها مما نسخ فالهوا عنها».

هذا النوع من النسخ لايعنينا أمره لأن تلك الآيات في حكم غير القائمة ولاتخدم أي غرض قانوني مفيد من الوجهة الحقوقية والشرعية، وليس له أية جدوى اجتماعية إنسانية. بل ربما قد يُفسر لنا ماقيل عن الآيات الشيطانية[2]، أو دعاوى بعض الصحابة عن نقص لبعض الآيات وعدم ورودها في مصحف عثمان كما قيل مثلاً عن نقص لبعض السور مثل سورتي الخلع والحفد[3]، وفي عدد آيات سورة الأحزاب، وعن نقص آية الرجم وآية رضاع الكبير عشراً وغيرها وغيرها من الآيات[4].

---

(١) ـ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، الجزء الثاني، الصفحة:٢٦

(٢) ـ تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث بيروت، المجلد الثاني، الصفحة ٣٣٧ ومابعدها.

(٣) ـ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، المجلد الثاني، الصفحة:٢٦

(٤) ـ حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى: (أ) ـ صحيح البخاري، الجزء الثامن الصفحة ٢٦ ، (ب) ـ صحيح مسلم: الجزء الثالث الصفحة ١٠ والجزء الرابع الصفحة ١٦٧ والجزء الخامس الصفحة ١١٦ (ج) ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، الجزء الأول الصفحة: (١٠ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ١٢٢ ـ ٢١٣) والجزء الثاني الصفحات (٢٦ ـ ٤٠ ـ ٤٢)، (د) ـ تاريخ اليعقوبي الجزء الثاني الصفحة ١٦٠ (هـ) ـ مسند الإمام أحمد: الجزء الأول الصفحة ٤٧ والجزء الثاني هامش الصفحة ٤٣ والصفحة ٥٠ (و) ـ مستدرك الحاكم، الجزء الثاني الصفحة: ٣٣١ (ز) ـ الإيضاح لابن شاذان الصفحات (٢١٣ ـ ٢١٤ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢)، (ح) ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي، المجلد الثاني الصفحة ٣٦ ومابعدها.

أما النوع الثاني من النسخ فهو نسخ الحكم دون التلاوة، بمعنى أن تظل الآية معتبرة آية قرآنية لأن نصها مثبت في المصحف وتتم تلاوتها على سبيل التعبد كبقية الآيات الأخرى، بينما مضمونها ملغىً فلا يُعمل به. فهي موجودة شكلاً (نصاً) ملغاة حكماً. وهذا النوع من النسخ هو الذي يهمنا أمره ويجب التوقف على طبيعته ودلالاته للاختلاف الكبير في آراء الفقهاء حوله، وحول الآيات المنسوخة والآيات الناسخة وبالتالي الآيات التي يمكن أن تكون سحكمة ومطبقة الأحكام.

إن مصطلح النسخ بمعنى الإلغاء والإبطال بشكل مطلق، حكماً وتلاوة، ورد في المصحف في الآية التالية: «وماأرسلنا من قبلك من رسول ولانبي إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أُمنيّته فينسخ الله مايُلقي الشيطان ثم يُحْكِم الله آياته والله عليم حكيم»[٥]. وقد ذكر الطبري وغيره أن سبب نزول هذه الآية كان لنسخ ماألقى الشيطان على النبي من آيات شيطانية (تلك الغرانيق العلا وأن شفاعتهن لترتجى)[٦].

كما ورد في المصحف بمعنى إبدال آية مكان آية كما في الآية التالية: «وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون»[٧].

أما بمعنى الإيقاف والنسيان أو الرفع والتأجيل وإرجاء يتحين الحين لأحكام آية ما، فقد ورد مصطلح النسخ في المصحف في الآية التالية: «ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»[٨].

وقد استدل الإمام الزركشي[٩] من خلال تعدد قراءات «أو نُنِسها» اذ وردت

---

(٥) ـ سورة الحج: الآية رقم:٥٢

(٦) ـ تاريخ الطبري، مصدر سابق، المجلد الثاني، الصفحة:٣٣٩ .

(٧) ـ سورة النحل: الآية رقم:١٠١ .

(٨) ـ سورة البقرة: الآية رقم:١٠٦ .

(٩) ـ الإمام الزركشي: هو بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. ←

قراءة لها بالهمز «نَنسئها» على أن النسخ في هذه الآية يأتي بمعنى تأجيل الحكم لابمعنى إلغائه وعدم امتثاله أبداً.

كتب الإمام الزركشي يقول[10]:

«... ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر وبالمغفرة للذين يرجون[11] لقاء الله ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها، ثم نسخه إيجاب ذلك. وهذا ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نَسيء كما قال تعالى: (أو نُنسئها) فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى».

كما أن مصطلح النسخ بالمعنى الحرفي للكلمة ونعني الكتابة قد ورد في

← فقيه من كبار فقهاء الشافعية، ولد في القاهرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة للهجرة، من أصل تركي مملوكي، ولم يكد يجاوز سن الحداثة حتى انتظم في حلقات الدروس وتفقه بمذهب الشافعي. تتلمذ على الشيخ جمال الدين الأسنوي رئيس الشافعية بالديار المصرية. ثم رحل إلى حلب وتتلمذ على الشيخ شهاب الدين الأذرعي فأخذ عنه الفقه والأصول، ثم عمد إلى دمشق حيث تلقى على ابن كثير الحديث ثم عاد إلى القاهرة. جمع أشتات العلوم وأحاط بالأصول والفروع حيث انقطع إلى الاشتغال بالعلم والتصنيف حتى توفي في القاهرة عام أربعة وتسعين وسبعمئة للهجرة. له مؤلفات وتصانيف عديده منها الإجابة لإيراد مااستدركته عائشة على الصحابة طبع بدمشق سنة ١٩٣٩ بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني. و«البرهان في علوم القرآن» و«البحر المحيط في الأصول» و«الديباج في توضيح المنهاج» و«لقطة العجلان وبلة الظمآن في أصول الفقه والحكمة والمنطق» و«فتاوى الزركشي» وغيرها...

(١٠) ـ البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المجلد الثاني، الصفحة:٤٢

(١١) ـ إشارة إلى الآية رقم:١٤ من سورة الجاثية وتنص: «قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله ليجزيَ قوماً بما كانوا يكسبون».

المصحف في الآيتين التاليتين فقط، الآية الأولى وتقول: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون»[١٢]. والآية الثانية وتقول: «ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون»[١٣].

أما مصطلح النسخ بمعنى تحييد أحكام بعض الآيات بإلغاء أو إبطال حكم آية من قبل آية أخرى إلغاءً نهائياً وقاطعاً واستبدال نص بنص أو نص لاحق بنص سابق كما طوره وطبقه الفقهاء بشكل يتناسب ومقاصدهم فهو ناتج عن مناقشات الأصوليين الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة نصوص قرآنية متناقضة في ظاهرها ومن دون هذا المبدأ لايمكن تحقيق التوفيق والانسجام بين الأحكام الشرعية التي كانت قد حظيت بتثبيت الفقهاء الأوائل.

علماً أن السنة كانت ويجب أن تبقى اجتهاداً ضمن الدين وتفسر القرآن وتوضحه وتجلي غوامضه، ولايجوز أن تفسر ولو للحظة واحدة على أنها بديل عن التنزيل أو يمكن أن تلغي أحكام بعض آياته. وأن مفهوم النسخ بتحييد أحكام بعض الآيات القرآنية لايمكن نسبته إلى النبي عليه الصلاة والسلام اذ لم ينقل عنه شيء بخصوص وجود آيات من القرآن منسوخة الحكم بشكل مطلق دون التلاوة. وأن أول مانُقل إلينا حول مقولة نسخ الحكم بشكل مطلق دون نسخ تلاوة الآية كان في زمن الخليفة عثمان بن عفان من خلال المجادلة الحامية والمقلقة التي جرت بين ابن الزبير وبينه عندما قال ابن الزبير: «قلت لعثمان بأن هذه الآية (أي رقم٢٤٠[١٤])، المتضمنة في سورة البقرة قد نسخت من قبل

---

(١٢) ـ سورة الجاثية: الآية رقم:٢٩

(١٣) ـ سورة الأعراف: الآية رقم:١٥٤

(١٤) ـ المقصود الآية رقم:٢٤٠ من سورة البقرة وتنص: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في مافعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم».

الآية (رقم٢٣٤ من السورة نفسها)[١٥]، فلماذا إذن نتركها في السورة؟... فأجاب عثمان: اتركها ياابن أخي العزيز فوالله لن أحذف آية من المكان الذي حُدِّد لها»[١٦].

هذا من ناحية أما من الناحية الثانية فإن بعض الفرق الإسلامية كان لها رأي بقبول مبدأ نسخ آية من قبل آية أخرى وكانت تقول: «لايمكن أن يأمر الله بشيء ثم ينسخه». كما أن شيخ الإسلام فخر الدين الرازي[١٧] كان يقول: «لاينبغي إبطال كلام الله» لأن القول بإبطال آية قرآنية معينة من قبل آية أخرى يفترض وجود تناقض في الأصل الذي تشكله كل آية بصفتها كلام الله[١٨].

من هنا نستطيع أن نقول ان مفهوم النسخ يمكن أن يتمحور ضمن مفهوم إرجاء الحكم أو التأجيل والانتقال من حكم منسوخ لانتفاء الظروف المؤدية إليه إلى

---

(١٥) ـ المقصود الآية رقم:٢٣٤ من سورة البقرة وتنص: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهرٍ وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير».

(١٦) ـ من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي: الدكتور محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، الصفحة:٧٣

(١٧) ـ الرازي: هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي البكري. ولد في الري عام ١١٤٩ ميلادية وتوفي في هراة عام ١٢٠٩ للميلاد. متكلم وفيلسوف ومفسر للقرآن ومن كبار المؤلفين الكلاسيكيين. كان شافعياً أشعرياً ناظر المعتزلة واشتغل بالتدريس في الحيرة. عرف في زمانه بشيخ الإسلام كما عرف بسعة معرفته بعلوم المعقول والمنقول. ترجع شهرته ومكانته في تاريخ الفكر الإسلامي إلى تفسيره للقرآن المسمى بـ«مفاتيح الغيب» المشهور بالتفسير الكبير إذ جمع فيه بين المباحث الكلامية والفلسفية الدينية وضمنه محاولته في التوفيق بين الفلسفة والدين. له عشرات المؤلفات في العربية والفارسية وله شعر بديع. من مؤلفاته «المحصول في الفقه» و«فضائل الصحابة» و«المباحث المشرقية» و«محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين» وله أيضاً شرح «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا وغيرها وغيرها...

(١٨) ـ من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي: مصدر سابق، الصفحة:٧١

حكم أقرب لفهم الناس وأدخل في حكم وقتهم. بمعنى الإنتقال من نص خدم غرضه مرحلياً حتى استنفده إلى نص كان مدخراً إلى أن يحين حينه ليصبح هو صاحب الوقت في الحكم. وأن الانتقال من نص إلى نص بمعنى إرجاء أو تعليق العمل بحكم آية ما لايعني الإلغاء التام والنهائي لهذه الآية لأنها من كلام الله، وكلمة الله خالدة. ولكن على الرغم من كون القرآن كلمة الله الخالدة إلاَّ أنه كان يخاطب مباشرة مجتمعاً معيناً ذا بناء اجتماعي معين، وبالتالي كان من اللازم اتخاذ موقف قانوني وموقف أخلاقي من ذلك المجتمع. وأن الموقف القانوني يجب أن يتغير بعد أن استنفد أغراضه في حينه مع تغير الواقع والظروف الاجتماعية. وهذا مافعله الخليفة عمر بن الخطاب عندما أوقف تطبيق أحكام نصوص واضحة في القرآن لأنها استنفذت أغراضها.

فعلى سبيل المثال لاالحصر نرى أن الآية التي تشترط العدل بين النساء في حالة تعدد الزوجات[١٩] تعبر عن حالة مرحلية تنسجم وسياق ظروف اجتماعية معينة كان النساء فيها عالة على الرجال فيما يتصل بأمنهن والإنفاق عليهن، وأن عدد الرجال كان قليلاً بسبب كثرة الحروب واشتراك عدد من النساء في زوج واحد ربما كان خيراً لهن في تلك الظروف مع بقائهن دون زواج وعرضة مع أولادهن من الزوج الأول للفقر والاعتداء.

بينما الآية رقم ١٢٩ من السورة نفسها: «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وأن تُصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً». تشير إلى أن الرجال لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء ولو حرصوا وهي بذلك تعبر عن المقصد الكبير والأسمى لكلمة الله ألا وهو إلغاء تعدد الزوجات.

والموقف نفسه يمكن أن يلاحظ حول أحكام آيات الميراث وحقوق النساء

---

(١٩) ـ المقصود الآية رقم ٣ من سورة النساء وتنص: «وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء...».

ومساواتهن بالرجال بعد أن انتفت في ظروف مجتمعاتنا الحديثة قوامة الرجال على النساء بسبب توفير الإنفاق والحماية والأمن لهن وغدت من مسؤولية القانون العام للدولة الذي حل محل الرجال في توفير ضمانات الفرص الاقتصادية والأمن لأفراد المجتمع كافة بما فيهم النساء. وكذلك الموقف من الرق والموقف من أهل الكتاب، وآية السيف حيث حكم المسايفة لايُلغي أو ينسخ حكم المسالمة بل كل منهما يجب امتثاله في وقته كما قال الإمام الزركشي[20]. لأن ماكان مخصوصاً من عموم أو ماكان له صفة الخصوصية أو المرحلية لايُلغي ماله حكم العام أو يتعارض مع الحجية الخالدة للتنزيل التي تقول بتحقيق التوازن السليم بين الحرية الشخصية الكاملة والعدالة الاجتماعية الكاملة في سياق الدولة القومية الحديثة التي تضمن المساواة بين المواطنين كافة دون تمييز على أساس العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو المعتقد السياسي وغير السياسي.

هذا الموقف يتطلب استخدام آلية تشريعية تساعد على تطوير الفقه من خلال إعادة النظر في حكمة النسخ بنقل الأساس القانوني لشريعة الإسلام من نص قرآني كان مناسباً لتنظيم أحوال القرن السابع ونفذ خلاله إلى نص كان في ذلك الحين أسمى من أن يعمل به فكان لابد من إغفال الشريعة العمل به بشكل يتيح إمكانيات جديدة للتوصل إلى مبادىء بديلة في القانون العام الإسلامي تقوم على أساس القطيعة الواضحة مع التاريخ الطويل للفقه الإسلامي الذي هو قانون وضعي اجتهده الفقهاء الأوائل ويتفق مع حقوق الإنسان العالمية في ذلك السياق التاريخي وليس قانوناً إلهياً بمعنى كونه إرادة الله المباشرة الثابتة التي لاتتغير، لذلك لايجوز أن تكون له عواقب قانونية في السياق التاريخي الحديث. وعلى أن تنسجم هذه المبادىء مع الحقائق الملموسة الخاصة بالدولة القومية الحديثة التي تكفل حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية للمواطنين

---

(٢٠) - البرهان في علوم القرآن: للإمام الزركشي. مصدر سابق، المجلد الثاني، الصفحة:٤٣

كافة إعمالاً لمبدأ «لا إكراه في الدين»، وتكفل المساواة التامة بين الجنسين والمواطنين كافة في الحقوق والواجبات العامة إعمالاً لمبدأ «لهم مالنا وعليهم ماعلينا». وتتوافق أيضاً مع النظام الدولي القائم على عدم التمييز على أساس الدين والجنس والهادف إلى إقرار السلام والتعايش الدوليين.

٢ ـ عرض ومناقشة

بعد العرض المكثف والموجز لمفهوم مقولة الناسخ والمنسوخ وماشُبِّه للفقهاء الأوائل من تناقض ظاهري في أحكام بعض آيات التنزيل مما دفعهم إلى القول بنسخ الآيات وإلغاء أحكامها إلغاءً نهائياً ومطلقاً. نعود إلى الموقف من الخمرة والآيات التي فهمها الفقهاء على أنها ناسخة بعضُها بعضاً لنستعرض ماناقشوه واختلفوا حوله فيها.

لقد فسر بعض المفسرين الآية ٤٣ من سورة النساء «لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى..» بمعنى لاتقربوا المساجد وأنتم سكارى على اعتبار أن الخمرة كانت قد «حُرِّمت» منذ نزول الآية رقم ٢١٩ من سورة البقرة «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس..» واعتبروها ناسخة لما كان مباحاً من شرب الخمر بموجب الآية رقم:٦٧ من سورة النحل، وقالوا: المنافع كانت قبل التحريم.

كتب النحاس يقول[٢١] :

«حدثنا جعفر بن مجاشع، قال: حدثنا إبراهيم بن اسحاق قال:

حدثنا إبراهيم بن عبد الله عن محمد بن يزيد عن جويير عن الضحاك في قوله جلَّ وعزَّ: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس» قال: المنافع قبل التحريم. ويعلق محقق كتاب الناسخ والمنسوخ على هذا الحديث

(٢١) ـ الناسخ والمنسوخ واختلاف العلماء في ذلك: لأحمد بن محمد النحاس، تحقيق سليمان اللاحم، المجلد الأول الصفحة:٥٧٥

فيقول: هذا الحديث إسناده ضعيف».

وكتب النحاس أيضاً[٢٢]:

«وحدثنا جعفر بن مجاشع قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن هارون قال: حدثنا صفوان عن عمر بن عبد الواحد، عن عثمان بن عطاء عن أبيه: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس» قال نسختها آية «ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى» يعني المساجد، ثم آية «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً» وكذلك آية «ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه».

وعلق محقق كتاب الناسخ والمنسوخ السيد سليمان اللاحم قال: هذا الحديث إسناده ضعيف.. وقد ذكر هذا الأثر السيوطي ولم يذكر فيه آية النحل ولاالتصريح بالنسخ، ونسبه إلى عبد بن حميد[٢٣].

هذا التعليل يتناقض ومنطق تتالي الأحداث والوقائع التي أكدت على استمرار تعاطي الشراب المسكر من قبل المسلمين، ومانجم عن ذلك من إشكالات عُدّت من قبل المفسرين أيضاً سبباً في نزول الآية تسعين والآية إحدى وتسعين من سورة المائدة اللتين تقولان بتجنب الخمرة والامتناع عن شربها لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

لقد عَدَّ الضحاك أن هذه الآية: «ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى» محكمة غير منسوخة وقال: «وأنتم سكارى من النوم» أخرجه الطبري وابن أبي حاتم. غير أن النحاس رجَّح تفسير (وأنتم سكارى) من الشراب لامن

---

(٢٢) ـ المصدر السابق، المجلد الأول، الصفحة: ٥٧٦

(٢٣) ـ الناسخ والمنسوخ للنحاس مصدر سابق، المجلد الأول، هامش الصفحة:٥٧٦

النوم وقال: «القول الأول أولى لتواتر الآثار بصحته»[٢٤]

بينما عدَّ مفسرون آخرون أن هذه الآية منسوخة. لكنهم اختلفوا في الناسخ لها.

كتب النحاس يقول[٢٥]:

قال جلَّ وعزَّ: «ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون». أجمع أكثر العلماء على أنها منسوخة غير أنهم يختلفون في الناسخ لها. فمن ذلك ماقُرىء على أحمد بن شعيب عن اسحق بن إبراهيم قال: أخبرنا أبو داوود قال:

حدثنا سفيان عن علي بن بذيمة عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله جلَّ وعزَّ «لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى» قال: نسختها الآية ٦ من سورة المائدة «إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق». قال أبو جعفر: فيكون على هذا قد نُسِخَتْ الآية على الحقيقة، يكونون أُمروا بأن لايصلوا إذا سكروا ثم أمروا بالصلاة على كل حال. فإن كانوا لايعقلون مايقرؤون ومايفعلون فعليهم الإعادة وإن كانوا يعقلون ذلك فعليهم أن يصلوا، وهذا قبل التحريم، فأما بعد التحريم فينبغي أن لايفعلوا ذلك، أعني من الشرب فإن فعلوا فقد أساؤوا والحكم في الصلاة واحد قبل تحريم السكر وبعده، فإن كان لايعقل مايقرأ ومايفعل فعليه الإعادة في الحالتين قبل التحريم وبعده، وإن كان يعقل مايقرأ ومايفعل فليصل ولاإعادة عليه في الحالتين». واجتهد فقهاء آخرون فقالوا: إن هذه الآية تجيز شرب الخمر في غير وقت الصلاة كما يفهم منها. وأن المنسوخ منها هو مفهومها فقط وهو جواز شرب الخمرة في غير وقت الصلاة أما منطوقها فمحكم، والآيتان الناسختان لمفهومها هما ٩٠-٩١ من سورة

---

(٢٤) ـ المصدر السابق، المجلد الثاني الصفحة:٢٠٩ وهامشها.

(٢٥) ـ المصدر السابق، المجلد الثاني، الصفحة: ٢٠٧ والصفحة:٢٠٨ وهامشها.

المائدة[٢٦].

إن نسخ آية ما يكون دائماً لكامل الآية وليس لجزء منها أو لجزء مما يُفهم من منطوقها كما جاء في منطوق الآية: «وما ننسخ من آية أو نُنسِها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»[٢٧]. إذ أكد منطوقها على أن النسخ يكون لكامل الآية لا لجزء منها. وأن أحكام الآية رقم ٤٣ من سورة النساء لم تُنسخ، فلا يُعقل أن يكون الله حرَّم الخمر وقبل صلاة شاربها في آن واحد.

كما أن مسار أحكام النسخ كان ينطلق دائماً من الواقع المعيش للناس ويتوجه من سمت العَنَتِ إلى اليسر وليس العكس، لذلك نرى أن مفهوم «التحريم» في الآيتين تسعين واحدى وتسعين من سورة المائدة لايبدو مكتملاً وأن منطوق الآيتين يدعو إلى الاجتناب والانتهاء عن شرب الخمر لأنها تُسبب الاختلاط في العقل وتصد عن الصلاة وذكر الله. والامتناع أو الاجتناب أقل مرتبة من التحريم ولايعني التحريم أو مافوق التحريم. ومن يقول بذلك فقوله من باب العَنَت والمزاودة ليس إلاَّ، وبالتالي فهما ليستا من آيات المحارم التي نصت على عدم تجاوز غائية حدود الله، أو إلغاء غائية أحكامه وشعائره.

جاء في المصحف[٢٨]:

«... تلك حدود الله فلا تَعْتدوها ومن يَتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون».

وجاء أيضاً[٢٩]:

«تلك حدود الله ومن يُطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار

(٢٦) ـ الناسخ والمنسوخ، للنحاس مصدر سابق، المجلد الثالث، الصفحة:٣٩٧

(٢٧) ـ سورة البقرة: الآية رقم:١٠٦ .

(٢٨) ـ سورة البقرة: الآية رقم:٢٢٩ .

(٢٩) ـ سورة النساء، الآيتان رقم:١٣ ورقم:١٤

خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مُهين».

يفهم من منطوق هذه الآيات أن الله وحده صاحب الحق في وضع غائية حدود تشريعية دائمة لمحرماته إلى أن تقوم الساعة وأن هذا الحق لم يعط للنبي، ولو أعطاه الله هذا الحق لقال: «ويتعدَّ حدودهما». وأن غائية قيم وأحكام حدود هذه المحرمات تكمن فيما تحمله من استشرافات متعالية الرؤى والحدوث وقادرة على إعادة اللحمة بين إطلاقية قيم هذه الحدود والأحكام وإعادة إنتاج قيم وشعائر وأحكام للواقع المعيش في تاريخيته وتجريبيته ونسبيته.

وأن كل اجتهاد تشريعي للسنة النبوية الشريفة ضمن حدود الله، أو كل اجتهاد فقهي يعتمد السنة النبوية والأسوة الحسنة وضمن حدود الله هو اجتهاد مرحلي ظرفي يتعلق بالشروط التاريخية المحيطة، ومحكوم بدرجة تطور وارتقاء المستوى المعرفي والحضاري للمجتمع في تلك المرحلة من التاريخ وبشكل يحمل كل ماهو إنساني وخيِّر ومفيد، ويحقق الانسجام بين ماهو إلهي يحمل معنى الإطلاق في استشرافاته وأهدافه ويؤكد على رسالة الإسلام الخالدة الأساسية في تحقيق العدالة الاجتماعية، وفي الحرية والكرامة الأصيلة للبشر كافة دون اعتبار للجنس أو العقيدة الدينية أو العرق، «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا»[٣٠]. و«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»[٣١]، وبين ماهو تاريخي إنساني يحمل معنى الظرفية ويتناسب مع السياق التاريخي للقرن السابع في شبه جزيرة العرب ويمكن أن يتغير ويتبدل مع تغير الظروف وتطور المجتمعات.

علماً أن الله سمح بتجاوز بعض محرماته في حالات تهدد حياة الإنسان الذي

---

(٣٠) ـ سورة الإسراء، الآية رقم:٧٠

(٣١) ـ سورة الحجرات، الآية رقم:١٣

هو من وجهة النظر الدينية إلهي بقدر ماهو إنساني: «ثم سواه ونفخ فيه من روحه»[٣٢].

جاء في المصحف[٣٣]:

«حُرِّمت عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير وماأُهلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وماأكل السبع إلاَّ ماذكيتم وماذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا في دينكم فلا تخشوهم واخشونِ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة[٣٤] غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم».

وجاء أيضاً[٣٥]:

«قُلْ لا أجد في ما أوحي إليَّ محرماً على طاعم يطعمه إلاَّ أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أُهِلَّ لغير الله به فمن اضطر غير باغٍ ولاعادٍ فإن ربك غفور رحيم».

هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى فإن منطوق المحرمات يقترن عادة بلفظ التحريم كما جاء في الآية رقم ثلاثة من سورة المائدة أو كقوله تعالى:

«حُرِّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللائي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة...»[٣٦].

---

(٣٢) ـ سورة السَّجْدة: الآية رقم:٩ .

(٣٣) ـ سورة المائدة: الآية رقم:٣ .

(٣٤) ـ المخمصة: بمعنى من احتاج إلى تناول شيء من الأطعمة المحرمة لضرورة ألجأته إلى ذلك (مجاعة ـ حرب ـ ظرف قاهر) فله تناوله والله غفور رحيم.

(٣٥) ـ سورة الأنعام: الآية رقم:١٤٥ .

(٣٦) ـ سورة النساء: الآية رقم:٢٣ .

أما فيما يتعلق بالجرائم التي نص القرآن تحديداً على عقوبة إلزامية ثابتة محددة عليها والتي يمكن أن تقتصر صفة الحدود عليها فقط، هي: السرقة والحرابة والزنا والقذف حيث نص القرآن على تحديد عقوبة ما تطبق بحق مرتكبها.

جاء في المصحف(٣٧):

«الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين».

ولتطبيق عقوبة الجلد على الزناة لابُدَّ من إثبات واقعة النكاح. ويتطلب هذا الإثبات اعتراف الزناة أنفسهم بإنجاز العملية الجنسية، أو توافر أربعة شهود عدل يؤكدون أنهم شاهدوا عياناً عملية التزاني، ومن يدلي بشهادة كاذبة يُعدُّ قاذفاً وتطبق بحقه عقوبة القذف.

جاء في المصحف(٣٨):

«والذين يرمون المُحصنات(٣٩) ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون».

تشير هذه الآية والآيات التي قبلها من السورة نفسها إلى حرص الإسلام الشديد على عدم علنية الفاحشة وإشاعتها، وبالتالي حرصه الشديد أيضاً على عدم قذف أعراض الناس وتوجيه الاتهامات من دون بينات عينية مؤكدة.

---

(٣٧) ـ سورة النور: الآية رقم: إثنان.

(٣٨) ـ سورة النور، الآية رقم:٤ .

(٣٩) ـ المحصنات: أصل الإحصان المنع ومنها المناعة، والرجل المحصن الرجل المتزوج قد أحصنه التزوج، والمرأة الحصان المرأة المتزوجة أُحصنها زوجها. وقال الزجاج: في قوله تعالى محصنين غير مسافحين، متزوجين غير زناة. عن (لسان العرب)، المجلد الثالث عشر، الصفحة:١١٩

ومن ظريف ماذكره صاحب العقد الفريد حول شبه استحالة تطبيق حد الزنا الطُرفة التالية:

كتب صاحب العقد يقول[٤٠]:

«... استشهد أعرابي على رجل وامرأة زنيا، فقيل له: أرأيته داخلاً وخارجاً كالمرود في المكحلة؟. فقال: والله لو كنت جلدة استها مارأيت هذا».

إن هذه الطرفة تحمل كامل الدلالة على شبه استحالة تطبيق حَدُّ الزنا حتى لا يُفترى بسهولة على المحصنين والمحصنات والمؤمنين والمؤمنات. وأن المقصود بالفاحشة التي تستوجب تطبيق الحدُّ على مرتكبها هي إنجاز العملية الجنسية بين غير المحارم دون عقد نكاح. لأن كل ماعدا ذلك ليس زناً، وإنما هو من باب مخالفة الآداب العامة «لأن الفرج هو الذي يصدق الفاحشة أو يكذبها»[٤١].

وأن ماقيل عن حد السكر والردة والبغي على أنها حدود إلهية فهي اجتهادات فقهية وحدود تعزيرية[٤٢] اعتمد الفقهاء في تحديدها على السنة النبوية والأسوة الحسنة ولم يرد في القرآن شيء عنها.

وهكذا نرى أن تجاوز حدود الله لايمكن أن يكون فيه منافع للناس كما جاء في الآية رقم ٢١٩ من سورة البقرة: «يسألونك عن الخمر والميسر قُل فيهما إثم كبير ومنافع للناس..». وأن لفظ التحريم لم يُذكر صراحة في منطوق الآيات الأربع التي نزلت بالخمرة، لأن هذه الآيات ليست من آيات المحارم، ولم ينسخ بعضها بعضاً. كما أنها لم تتضمن عقوبة لشاربها ولم تورد مصادر الحديث

---

(٤٠) ـ العقد الفريد: أحمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلد الثامن، الصفحة:١٣٣

(٤١) ـ الكتاب والقرآن: الدكتور المهندس محمد شحرور، الصفحة: ٥٠٩

(٤٢) ـ التعزير: مصطلح شرعي لتقدير عقوبة خاصة يوكل تقديرها إلى نظر الحاكم العادل الإسلامي حسب اختلاف ظروف اقتراف الجريمة والمجرمين.

والسيرة النبوية وقائع موثقة يُستفاد منها تأكيد تشريع عقوبة محددة لشارب الخمرة في زمان النبي.

علماً أن كثيرين شربوا الخمر في حياة الرسول وبعد نزول الآية تسعين والآية إحدى وتسعين من سورة المائدة ولم يُطبق بحقهم أية عقوبة كما أكد ابن أبي الحديد(٤٣). ويشير هذا الأمر إلى أن عقوبة شرب الخمر إنما هي عقوبة تعزيرية وضعها المجتمع وليست عقوبة حدية جاءت في القرآن، وإذا كان الرسول ـ كما تشير مصادر أخرى ـ قد أمر في بعض الحالات بجلد شاربها عدداً غير محدد من الجلدات فإن هذا الأمر يُشير إلى أن سلطة التعزير يجب أن تمارس دورها في المجتمع، وليس بياناً لعقوبة معينة ثابتة تجعل من الجريمة حداً.

٣ ــ هل ماكان مباحاً وحُرِّم يستوجب نصاً لتبرئة من تعاطوه في مرحلة إباحته؟!

يضاف إلى ماسبق ذكره منطوق آية وردت في سورة المائدة بعد الآيتين السابقتين يقول منطوق هذه الآية: «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طعموا إذا مااتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يُحب المحسنين»(٤٤).

لقد فسرت هذه الآية من قبل المفسرين والفقهاء على أنها تخص المسلمين الذين شربوا الخمر وماتوا أو استشهدوا قبل التحريم.

كتب ابن كثير يقول(٤٥):

(٤٣) ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد عز الدين أبو حامد عبد الحميد هبة الله المدائني المعتزلي. الجزء الثالث، الصفحة:١١٣

(٤٤) ـ سورة المائدة: الآية رقم:٩٣

(٤٥) ـ تفسير القرآن العظيم: لإبن كثير، مصدر سابق المجلد الثاني، الصفحة:٩٥

«...روى الحافظ أبو بكر الرازي في مسنده، حدثنا أحمد بن عبده، حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول:

اصطبح ناس الخمر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قتلوا شهداء يوم أحد، فقالت اليهود: فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم، فأنزل الله: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا...) ثم قال: وهذا إسناد صحيح وهو كما قال ولكن في سياقه غرابة».

وكتب الفيض الكاشاني يقول[٤٦]:

«..لما نزل تحريم الخمر والميسر والتشديد في أمرهما، قال الناس من المهاجرين والأنصار: يارسول الله قتل أصحابنا وهم يشربون الخمر وقد سماه الله تعالى رجساً وجعلها من عمل الشيطان وقد قلت ماقلت، أفيضر أصحابنا ذلك شيئاً بعدما ماتوا فأنزل الله هذه الآية، فهذا لمن مات أو قتل قبل التحريم؟».

ثم أردف السيد محمد محسن مرتضى معلقاً على هذا الموضوع، قال:

«وعلى ماحققناه إن صح أن سبب نزول هذه الآية ماذكره القمي[٤٧] موافقاً

---

(٤٦) ـ تفسير الصافي: لفيلسوف الفقهاء محمد محسن مرتضى الملقب بالفيض الكاشاني المجلد الثاني، الصفحة:٨٤

(٤٧) ـ القمي: ربما هو أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن هاشم القمي. قال عنه صاحب التنقيح: « ثقة في الحديث، ثبت معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر» كان في عصر الإمام العسكري وعاش إلى سنة ٣٠٧ للهجرة. من مؤلفاته: تفسير القمي. كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب قرب الإسناد، كتاب الشرائع، كتاب الحيض، كتاب التوحيد والشرك، كتاب فضائل أمير المؤمنين، كتاب المغازي، كتاب الأنبياء، وغيرها...

وربما كان والده إبراهيم بن هاشم القمي الذي كان يروي عنه. وهو شيخ من مشايخ الإجازة، فقيه محدث من أعيان الشيعة وكبرائهم كثير الرواية شديد النقل. وله مؤلفات منها: كتاب النوادر، كتاب الإمامة، كتاب المتعة، وغيرها...

لطائفة من المفسرين فمعنى الآية أن الذين كانوا يشربون الخمر قبل نزول تحريمها إذا كانوا بهذه المثابة من الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فلا جناح عليهم في شربها»[٤٨].

إن ماكان مباحاً بموجب نص آية في المصحف ثم نُهي عنه بموجب نص آية أخرى لايتطلب نصاً ثالثاً لتبرئة الذين تمتعوا به من المسلمين في مرحلة إباحته.

وأن نص الآية المذكورة قد لايكون له علاقة بقتلى أُحد الذين استشهدوا والخمرة في بطونهم. بل ربما يتمحور ضمن المفهوم التالي: أن الذين آمنوا بالله ولم يشركوا به أحداً وعملوا الصالحات، إذا كانوا بهذه المثابة من الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فلاجُناح عليهم فيما يأكلون ويشربون. لأن إيمانهم وأعمالهم الصالحة تدفعهم إلى المحافظة على توازنهم الاجتماعي وصيانة سمعتهم وكرامتهم، وتمنعهم من الانحدار إلى مهاوي العربدة والإدمان وماينجم عنها من شرور اجتماعية.

وفي حديث لأبي هريرة[٤٩] وهو غير موثوق الرواية قال: قال رسول الله:

---

(٤٨) - تفسير الصافي مصدر سابق، المجلد الثاني، الصفحة:٨٦ .

(٤٩) - أبو هريرة: اختلف باسمه واسم ابنته، وعرف بكنيته، أسلم في السنة السادسة للهجرة وعمره لم يتجاوز الثلاثين، كان من أصحاب الصُفة وهم الذين لامأوى لهم. والصُّفه موضع في مسجد الرسول. وكان النبي يقوم بإطعام بعضهم ويفرق الباقي منهم على أصحابه. صحبته للرسول دامت أقل من ثلاث سنوات. كان عمله أيام الرسول القعود على الصفة واستجداء المارة. اشترك مع المسلمين في حرب مؤته فقط وفرَّ من الزحف مع الفارين. ولّاه عمر على البحرين سنة ٢١ للهجرة، ثم عزله سنة ٢٣ لسرقته بيت المال، وضربه بالدرة حتى أدماه. (والدرة عصا خفيفة كان عمر بن الخطاب يحملها في تطوافه بالأسواق والدروب ويقرع بها المخالفين لتعليماته، وقد استبدل بها عثمان السوط). وطلب منه إعادة المال المسروق.

استخدمه معاوية في وضع الحديث وصياغة مناقب آل أبي سفيان وخلق مثالب في آل أبي طالب حتى بلغ مارواه أبو هريرة من الحديث ثلاثة أضعاف مارواه الخلفاء الراشدين الأربعة. قال وحده (٤٣٧٤) حديثاً.

«إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم فأطعمه، فليأكل من طعامه ولايسأله، فإن سقاه شراباً فليشرب من شرابه ولايسأله، وإن خشي منه فليكسره بالماء»(٥٠).

ونرى أن مفهوم هذا الحديث - إذا صحّ - يتطابق ومفهوم الآية: ٩٣ من سورة المائدة: «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فما طعموا...». كما أنه يتطابق مع مفهوم حديث آخر إذا صحَّ لأبي ذرٌ الغفاري(٥١) أخرجه الترمذي عن أبي ذر عن النبي أنه قال: «جاءني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لايُشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: (القول هنا لأبي ذر) وإن زنى أو سرق؟ قال (أي النبي) وإن زنى أو سرق؟ قلتُ وإن زنى وإن سرق؟، قال: وإن زنى وإن سرق ثم قال في الرابعة رغم أنف أبي ذر»(٥٢).

هذا من جهة أما من الجهة الثانية فإن بعض المصادر الدينية أكدت أن سورة المائدة كانت آخر سورة انزلت من القرآن(٥٣).

جاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور مايلي(٥٤):

«... أخرج أحمد والترمذي وحسنه الحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عمر قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة».

---

(٥٠) - من قاموس التراث: هادي العلوي، الصفحة:١١٢

(٥١) - أبو ذر الغفاري: جندب بن جُناده. توفي عام ٣٢ للهجرة/ ٦٥٢ ميلادية. صحابي كبير اشتهر بتقواه وتقشفه. طالب بمشاركة الفقراء للأغنياء في أموالهم. وكان يروي أحاديث الرسول بذم الأغنياء. نعى على معاوية الترف والإسراف بمال المسلمين فنفاه عثمان إلى الرَبَذَة فمات فيها.

(٥٢) - تيسير الوصول: للزبيدي، الجزء الأول، الصفحة:١١

(٥٣) - بينما تؤكد مصادر دينية أخرى أن سورة التوبة وتسمى براءة نزلت بعد المائدة وروى عن البخاري قوله: «أن آخر سورة أنزلت من القرآن هي سورة براءة».

(٥٤) - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: الإمام جلال الدين السيوطي، المجلد الثالث الصفحة: الثالثة.

ويستفاد من هذه المصادر أن سورة المائدة نزلت كلها على الرسول في مسيرة حجة الوداع.

كتب ابن كثير يقول(٥٥):

«.. قال الإمام أحمد، حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية شيبان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: إني لآخذة بزمام الغضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه المائدة كلها وكادت من ثقلها تدقُّ عَضُدَ الناقة».

وكتب جلال الدين السيوطي يقول(٥٦):

«.. أخرج بن جرير عن الربيع بن أنس، قال: نزلت المائدة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسير في حجة الوداع وهو راكب راحلته فبركت به راحلته من ثقلها».

وبما أن سورة المائدة كانت من آواخر السور التي نزلت على الرسول وأن الآيات تسعين وإحدى وتسعين وثلاثة وتسعين التي تحدثت عن الخمرة من جملة آياتها التي تبلغ مئة وعشرين آية فإن ماجاء فيها من استشرافات تشريعية وغائية أحكام رامزة تعدُّ غير منسوخة.

عن جُبير بن نفير قال(٥٧):

«..حججت فدخلت على عائشة، فقالت: هل تقرأ سورة المائدة؟

قلت: نعم

---

(٥٥) - تفسير القرآن العظيم: مصدر سابق، المجلد الثاني، الصفحة:٢

(٥٦) - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مصدر سابق، المجلد الثالث، الصفحة: أربعة.

(٥٧) - الناسخ والمنسوخ واختلاف العلماء في ذلك، مصدر سابق، المجلد الثاني الصفحة:٢٣٢ وهامش الصفحة: ٢٣٣

قالت: أما أنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها حلالاً فاستحلوه وماوجدتم فيها حراماً فحرموه». هذا الحديث أخرجه أحمد والحاكم ووافقه الذهبي والبيهقي».

وعن نُخمرة بن حبيب وعطيه بن قيس قالا[٥٨]:

«... قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، المائدة آخر القرآن تنزيلاً، فأحلوا حلالها، وحرموا حرامها، أخرجه أبو عبيد».

وحول مفهوم اجتناب شرب الخمر وعدم اكتمال مفهوم التحريم في المصحف أنقل هذا النص من تفسير الصافي.

كتب محسن مرتضى يقول[٥٩]:

«... وعن علي بن يقطين قال: سأل المهدي أبا الحسن عن الخمرة هل هي محرمة في كتاب الله تعالى؟، فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولايعرفون التحريم لها.

فقال له أبو الحسن: بل هي محرمة في كتاب الله ياأمير المؤمنين
فقال له: في أي موضع هي محرمة في كتاب الله عزَّ وجلَّ ياأبا الحسن؟.
فقال: قول الله تعالى: (قُلْ إنما حرَّم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق)[٦٠]، إلى أن قال:

وأما الإثم فإنها الخمر بعينها وقد قال الله في موضع آخر:

(يسألونك عن الخمر والميسر قُل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) فأما الإثم في

(٥٨) ـ مع الصادقين: الدكتور محمد التيجاني السماوي الصفحة:٤٩ نقلاً عن الدر المنثور للسيوطي.

(٥٩) ـ تفسير الصافي، مصدر سابق المجلد الأول، الصفحة:٢٢٩ .

(٦٠) ـ الآية رقم ٣٣ من سورة الأعراف. رقم هذه السورة حسب تسلسل نزول السور(٣٩): نزلت بعد(ص) وقبل (الجن). وهي مكية عدد آياتها ٢٠٦ ماعدا الآيات من ١٦٣ إلى ١٧٠ فهي آيات نزلت في المدينة.

كتاب الله فهي الخمر والميسر وإثمهما أكبر كما قال الله تعالى.

فقال المهدي: يا علي بن يقطين، وهذه فتوى هاشمية؟.

قال: قلت له: صدقت والله يأأمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت».

لقد نزلت الآية رقم ٣٣ من سورة الأعراف كما ذكر ابن كثير في تحريم الزنا المعلن والمبطن. والزنا المعلن هو نصب الرايات التي كانت ترفعها العواهر في الجاهلية، والزنا المبطن، مانكح من أزواج الآباء من قبل الأبناء لأن الناس قبل الرسالة إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه.

هذا من جهة، أما من الجهة الثانية فإن هذه الآية لاعلاقة لها بالخمرة وتحريمها، لأنها نزلت قبل الآية رقم ٦٧ من سورة النحل: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً...» التي أباحت شرب الخمر. وسورة النحل رقم تسلسل نزولها بين السور٧٠ بينما سورة الأعراف رقم تسسلسل نزولها بين السور ٣٩ .

الفصل الثالث

الخمرة في السنة وتحليل شرب النبيذ

١ ــ ممارسة شرب النبيذ المُسكر في صدر الإسلام

يضاف إلى ماسبق وتم ذكره ومناقشته مايُستدل من بعض الروايات التي تشير - إذا صحت - إلى «ممارسة شرب النبيذ المسكر في صدر الإسلام، منها رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه تعشى مع والده عند علي بن أبي طالب فسقاهما، ثم خرجا فلم يهتديا في الظلمة فأرسل معهم بمشعل»[1].

وكتب النحاس في ناسخه ومنسوخه قال[2]:

«... قال أبو جعفر: حدثنا أحمد، قال: حدثنا فهد، قال: حدثنا محمد ابن سعيد الأصبهاني قال: حدثنا يحي بن اليمان عن الثوري، عن منصور، عن خالد بن سعد، عن أبي مسعود قال: «عطش النبي صلى الله عليه وسلم، حول الكعبة فاستسقى فأُتي بنبيذ من نبيذ السقاية، فشمه فقطب، فصب عليه من ماء زمزم ثم شرب. فقال رجل: أحرام هو؟.

قال: لا».

أخرج هذا الحديث الطحاوي في شرح معاني الآثار الجزء الرابع الصفحة ٢١٩

---

(١) - من قاموس التراث: هادي العلوي، الصفحة:١١٢

(٢) - الناسخ والمنسوخ واختلاف العلماء في ذلك: مصدر سابق المجلد الأول الصفحة ٦٢٢

والنسائي في الأشربة الجزء الثامن الصفحة ٣٢٥ وقال: هذا خبر ضعيف لأن يحيى بن يمان لايُحتج بحديثه لسوء حفظه وكثرة خطئه. كما أخرجه الدار قطني في الأشربة الجرء الرابع الصفحة ٢٦٣ ومن جهته أشار البخاري في التاريخ الكبير الجزء الثالث الصفحة ١٥٣ إلى هذا الحديث وقال: لم يصح. وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب الجزء الثالث: الصفحة: ٩٤ بعد أن ذكر تضعيف بعض الأئمة لهذا الحديث: «قلت: ورواه يحيى بن سعيد عن سفيان موقوفاً وهو الصحيح[٣].

ومنها ماروواه الدارقطني[٤] حين قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من سقاية العباس فوجده شديداً فقطب بين حاجبيه، ثم دعا بذنبوب[٥] من ماء زمزم فصب عليه ثم قال: إذا اغتلمت أشربتكم فاكسروها بالماء»[٦].

وكتب النحاس في ناسخه ومنسوخه قال[٧].

«... حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا فهد، قال: حدثنا عمر بن حفص قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الأعمش قال: حدثني إبراهيم عن همام بن الحارث قال: «أُتي عمر بنبيذ فشرب منه فقطب، ثم قال: إن نبيذ الطائف له عُرام، ثم ذكر شدة لاأحفظها، ثم دعا بماء فصب عليه ثم شرب».

وهو حديث سنده قوي رجاله ثقات، أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار الجزء الرابع الصفحة:٢١٨ . وأخرجه الدارقطني في الأشربة الجزء الرابع

---

(٣) ـ المصدر السابق هامش الصفحة:٦٢٢ والصفحة:٦٢٣

(٤) ـ الدارقطني: من محدثي القرن الرابع الهجري، منسوب إلى دار القطن من محلات بغداد الإسلامية، وهي نسبة مركبة.

(٥) ـ الذنبوب: هو الدلو الملء أو دون الملء بالماء.

(٦) ـ العقد الفريد، مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٧١

(٧) ـ الناسخ والمنسوخ واختلاف العلماء في ذلك، مصدر سابق، الجزء الأول الصفحة:٦١٣

الصفحة ٢٦٠ الحديث رقم ٧٦ . وذكره ابن حجر في الجزء العاشر الصفحة ٤٠ من رواية البيهقي من طريق همام بن الحارث عن عمر قال: «وسنده قوي وهو أصح شيء ورد في ذلك»[٨].

وأخرج النسائي في الأشربة عن أبي رافع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إذا خشيتم من نبيذ فاكسروه بالماء». وعن سعيد بن المسيب قال: «تلقت ثقيف عمر بشراب فدعا به فلما قربه إلى فيه كرهه فدعا به فكسره بالماء، فقال: هكذا فافعلوا». وأخرجه الدارقطني في «الأشربة» الجزء الرابع الصفحة: ٢٦٠ عن سعيد بمعناه[٩].

وكتب النحاس في ناسخه ومنسوخه قال[١٠]:

«.. حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال: حدثنا روح قال: حدثنا عمرو (عمرو ابن خالد) قال: حدثنا أبو اسحق عن عمرو بن ميمون قال: «شهدت عمر حين طعن، فجاءه الطبيب فقال: أي الشراب أحب إليك؟.

قال: النبيذ.

قال: فأتي بنبيذ فشربه فخرج من إحدى طعناته (التي تحت السرة كما ذكر البخاري). وكان يقول: إنا نشرب من هذا النبيذ شراباً يقطع لحوم الإبل. قال: وشربت من نبيذه فكان كأشد النبيذ». وقد أخرج الطحاوي هذا الحديث في شرح معاني الآثار، والجصاص والدراقطني والبخاري في فضائل الصحابة».

مجمل تتالي الأحداث والمواقف لايُشير قطعاً إلى اكتمال مفهوم التحريم في المصحف بل يؤكد مفهوم الاجتناب بالنسبة الى الخمرة وإباحة شرب النبيذ. لأن

(٨) ـ المصدر السابق، المجلد الأول، هامش الصفحة:٦١٣

(٩) ـ المصدر السابق، المجلد الأول، هامش الصفحة: ٦٠٩

(١٠) ـ المصدر السابق، المجلد الأول، الصفحة:٦٠٧ وهامشها.

التحريم يعني عدم تجاوز حد من حدود الله، بينما الاجتناب لايعني ذلك قطعاً.

هذا من جهة، أما من الجهة الثانية فإن مفهوم الاجتناب أمر يتصل بالشخص المخاطب، بينما مفهوم التحريم أمر يتعلق بالشيء موضوع الطعام والشراب كما جاء في المصحف: «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير...»[11]. ويتمحور معنى الاجتناب في الابتعاد عن الشراب المغتلم، وفي عدم المعاقرة والإفراط في الشراب لدرجة السكر (التخليط). ويتوافق مع هذا الأمر قوانين الدول المعاصرة التي تسعى إلى تنظيم سلوك أفرادها، وإلى حماية مجتمعاتها من مخاطر الإدمان وبراثنه.

٢ ــ موقف المذاهب الفقهية من الخمرة وتحريمها

أما ما قيل عن إجماع المفسرين والفقهاء على تحريم الخمرة وأن هذا التحريم لاخلاف عليه بين اثنين منهم. فهذا أمر واقع فعلاً ويؤكد أن الانتقال من مفهوم الاجتناب إلى مفهوم التحريم وفرض حد تعزيري بحق شاربها كان تالياً لمرحلة النبي عليه الصلاة والسلام. وهو قرار أرضي ذو صفة تاريخية وتم الاتفاق عليه في الأدب الفقهي.

غير أن الأمر الأكثر أهمية والذي لاجدال حوله أيضاً هو في اختلاف الفقهاء حول صفة المشروب الذي يمكن أن يسمى خمراً، أو الصنف المحرم من المشروب الذي تصدق عليه صفة الخمر، وحول عقوبة المخالف أو مرتكب المحرم. وبهذا الاختلاف أوجد الفقهاء الأساس الواقعي والعملي الذي نسف إجماعهم اللفظي على تحريمها تقريباً.

قال ابن الرومي[12]:

أحَلَّ العراقيُّ النبيذ وشربه   وقال الحرامان المدامة والسكرُ

(١١) ـ سورة المائدة: الآية رقم:٣

(١٢) ـ ديوان ابن الرومي، مصدر سابق، الجزء الأول، الصفحة:٧٨

وقال الحجازي الشرابان واحدٌ فحلَّت لنا بين اختلافهما الخمرُ
سآخذ من قوليهما طرفيهما وأشربها لافارق الوازر الوزرُ

ويحضرني في هذه المناسبة بعض الأبيات للعلامة الزمخشري(١٣) يصور فيها مدى تطاحن المفسرين وفقهاء المذاهب، وتخبطهم واختلافهم حول عدد من الأمور من بينها الموقف من الخمرة.

قال الزمخشري(١٤):

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به وأكتمه، كتمانه لي أسلمُ
فإن حنفياً قلتُ قالوا بأنني أبيحُ الطِلى وهو الشراب المحرم
وإن شافعياً قلتُ قالوا بأنني أبيحُ نكاح البنت والبنت تُحرمُ(١٥)
وإن مالكياً قلتُ قالوا بأنني أبيحُ لهم أكل الكلاب وهم هُمُ
وإن قلتُ من أهل الحديث وحزبه يقولون تيسٌ ليس يدري ويفهمُ

لقد قال بعض الفقهاء بضرورة توافر شرطين أساسيين في العصير حتى يمكن أن يسمى خمراً. الأول الغليان أو الفوران، والثاني الاشتداد بمعنى قوة المشروب التي تجعله شديد الإسكار. بينما أضاف الإمام أبو حنيفة النعمان مقوماً آخر حتى يحق لنا أن نمنح المشروب صفة الخمر، وهو قذف الزبد بمعنى خلاصه من

---

(١٣) ـ الزمخشري: هو أبو القاسم محمود بن عمر. ولد بزمخشر في خوارزم عام ١٠٧٥ للميلاد وتوفي بعاصمتها الجرجانية عام ١١٢٤ ميلادية. لغوي ومتكلم ومفسر. سموه جار الله لأنه جاور بمكة. ورغم فارسيته أحب العربية وتبحر فيها وكتب في نحوها وصرفها. كان معتزلي الاعتقاد. دافع عن معتقده بقوة وحجة حتى عُدَّ خاتمة شيوخ المعتزلة. له المفصل في النحو والكشاف في حقائق التنزيل وكتاب الفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة وأطواق الذهب ونوابغ الكلم. وله ديوان شعر ومقامات.

(١٤) ـ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، المجلد الأول، الصفحة: ٢٠٠

(١٥) ـ يرى الإمام الشافعي أن من زني بإمرأة وأولدها من مئة بنتٍ، صح للزاني نكاح البنت. لأن الحرام لايحرم حلالاً. وترى الحنيفية وغيرهم عدم جواز ذلك. كما اختلف الفقهاء حول زواج المتعة وغيرها من المسائل...

الرغوة بحيث يصير العصير كامل النقاء والرقة. وهذه الصفة لاتتوافر إلاَّ في المشاريب المقطرة، مثل العرق والفودكا والجن... فلا يخرج عند خضِّها أو صبها في الكأس رغوة.

وقالوا إذا لم تتوافر في المشروب هذه المقومات فهو غير محرم، ولايمكن أن يُسمى خمراً. كما أن الإمام أبا حنيفة النعمان حدد صفة الخمر في المشروب الذي يُعمل من العنب والتمر فقط استناداً إلى رواية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الخمر من هاتين الشجرتين» وقال سويد: في هاتين الشجرتين النخلة والعنبه»[١٦]. وإلى ماجاء في سورة النحل:

«ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون»[١٧]، وماعدا ذلك فهو نبيذ وليس بخمر وبالتالي ليس محرماً.

واختلف الفقهاء أيضاً حول: هل التحريم هو لشرب الخمر أم لحالة السكر؟. والسكر هو حالة التخليط وهي حالة لاحقة لحالة النشوة التي تبعث السرور والفرح في كيان الشارب دون أن يذهب عقله. فكان منهم من حلل الشراب وأجازه إلى الحد الذي لايُسبب حالة السكر. بمعنى التخليط وحرم السكر أو الشراب لدرجة حالة التخليط.

كتب النحاس في ناسخه ومنسوخه يقول[١٨]:

«.. حدثنا أحمد قال: حدثنا علي بن معبد، قال: حدثنا يونس بن محمد، قال: حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبيه، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذا إلى اليمن فقلنا: يارسول الله إن بها شرايين

---

(١٦) ـ الناسخ والمنسوخ واختلاف العلماء في ذلك: مصدر سابق، المجلد الأول، الصفحة ٥٩٢

(١٧) ـ سورة النحل: الآية رقم:٦٧

(١٨) ـ الناسخ والمنسوخ.. مصدر سابق المجلد الأول، الصفحة:٦٢٤

يُصنعان من البر والشعير، أحدهما يقال له المزر والآخر البتع فما نشرب؟.

قال: اشربا ولا تسكرا».

أخرج هذا الحديث بإسناده ولفظه الطحاوي في شرح معاني الآثار الجزء الرابع الصفحة: ٢٢٠[١٩].

وقال بعض الفقهاء والمفسرين: إن صفة المسكر التي تطلق على المشروب لايحددها فقط نوع الشراب، وهل هو من عصير العنب أو من عصير التمر،أو من عصير التفاح، أو من العسل وغيرها...؟ بل شدة الشراب ودرجته الكحولية والكمية المتناولة منه أيضاً. وقالوا المسكر ماأسكرك، ولايسمى القليل من الخمر الذي لايسكر مسكراً. وبالتالي فالشراب الذي يسكر كثيره فقليله حلال. وأن الشربة الأخيرة التي تسبب حالة السكر هي المحرّمة. وقالوا أيضاً: «المسكر بمنزلة القاتل لايسمى مسكراً حتى يسكر كما لايسمى القاتل قاتلاً حتى يقتل»[٢٠] وكان غالبية الكوفيين من هذا الرأي وعلى رأسهم أبو حنيفة النعمان وصاحباه[٢١].

كتب النحاس في ناسخه ومنسوخه يقول[٢٢]:

«...حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا ابراهيم بن مرزوق، قال:

حدثنا محمد بن كثير، قال: حدثنا سفيان الثوري عن أبيه عن لبيد بن شماس، قال: قال عبد الله: «إن القوم ليجلسون على الشراب وهو حل لهم، فما يزالون حتى يحرم عليهم».

هذا الحديث أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار الجزء الرابع الصفحة: ٢٢٠

---

(١٩) ـ المصدر السابق، المجلد الأول، هامش الصفحة: ٦٢٤

(٢٠) ـ الناسخ والمنسوخ واختلاف العلماء في ذلك، مصدر سابق المجلد الأول، الصفحة: ٥٩٨

(٢١) ـ المصدر السابق، المجلد الأول، الصفحة: ٥٩٧

(٢٢) ـ المصدر السابق، المجلد الأول، الصفحة: ٦٢٦

وذكره البخاري في التاريخ الكبير الجزء الرابع الصفحة ٢٥٩ ومابعدها ووجه احتجاج الكوفيين بهذا الحديث لوصح ذلك أنه يدل على أن المحرم هو الشربة الأخيرة التي تسكر دون ماتقدمها[٢٣].

٣ ـ موقف الأئمة والتابعين من تحريم النبيذ

لقد اختلف الأئمة والتابعون حول تحريم النبيذ:«ولو كان النبيذ هو الخمر التي حرمها الله في كتابه مااختلف في تحريمه اثنان من الأئمة»[٢٤]. لذلك فإن موقفهم منه كان متبايناً، فمنهم من أباحه ومنهم من عدّه خمراً وحرّمه.

ويبدو أن إباحة النبيذ كان مذهب أغلبية الأئمة والفقهاء في القرن الأول وشطراً من القرن الثاني أمثال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود،[٢٥] وزيد بن علي وإبراهيم النخعي، وسفيان الثوري[٢٦] الذي كان«يشرب النبيذ الصلب الذي

---

(٢٣) ـ المصدر السابق، المجلد الأول، هامش الصفحة:٦٢٦ وهامش الصفحة:٦٢٧

(٢٤) ـ العقد الفريد: مصدر سابق المجلد الثامن الصفحة:٦٠

(٢٥) ـ عبد الله بن مسعود: من أوائل المسلمين، سادس من أسلم وأول من جهر بالقرآن في مكة. هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، شهد الغزوات كلها. أحد المبشرين بالجنة ومن الذين اتقنوا تلاوة القرآن. روى عن النبي وكتب بيده مصحفاً سمي مصحف ابن مسعود. وقف إلى جانب أبي بكر في حروب الردة. عزل من وظيفته كخازن لبيت المال في الكوفة وسُبَّ من قبل عثمان على مرآى من الناس سباً موجعاً دفع عائشة إلى أن تقول صائحة على الملأ: «أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله..» ثم ضرب ضرباً مبرحاً حتى كسرت له ضلع ومنع عنه عطاءه حتى وفاته، لالسبب إلاّ لأنه حافظ على مال بيت المسلمين عندما طالب بإصرار وفاء حق لبيت المال كان يتهرب من رده أحد قرابة عثمان. وضرب مرة ثانية بأمر من عثمان أيضاً أربعين سوطاً لأنه قام بدفن أبي ذر الغفاري. كان على رأس الصحابة الذين عارضوا سلوك عثمان بإحراق المصاحف الأخرى التي لاتتفق ومصحفه.

(٢٦) ـ الثوري ـ هو أبو عبد الله سفيان بن مسروق الثوري الكوفي. ولد في الكوفة سنة ٦٥ للهجرة، وتوفي في البصرة سنة ١٦١ هجرية متوارياً عن السلطات. محدث من الأئمة المجتهدين الأعلام في الحديث. له مذهب لم يطل العمل به لقلة أتباعه وعدم مؤازرة السلطة له.

تحمر منه وجنتاه»[٢٧].

ويقال إن الذين قالوا بتحليل النبيذ استندوا إلى ماقاله عبد الله بن مسعود كما جاء في العقد الفريد:

كتب أحمد بن عبد ربه يقول[٢٨]:

«... وأن ابن مسعود قال: شهدنا التحريم وشهدتم، وشهدنا التحليل وغبتم، وأنه كان يشرب الصلب من النبيذ التمر حتى كثرت الروايات به عنه وجعلوه من أعظم حججهم، وقال شاعرهم في ذلك:

من ذا يُحرِّمُ ماء المزن خالطه في جوف خابية ماء العناقيد
إني لأكره تشديد الرواة لنا فيه ويُعجبني قول ابن مسعود»

وكان أبو العباس بن سريج[٢٩] يقول:

«.. ماحرم الله شراً إلاَّ وأحل بإزائه خيراً، حرم الميتة وأباح المذكى[٣٠]، وحرم الخمر وأباح النبيذ، وحرم السفاح وأباح النكاح وحرم الربا وأباح البيع»[٣١].

وذهب الأئمة الثلاثة مالك[٣٢] والشافعي وأحمد بن حنبل إلى سدِ الباب تماماً.

---

(٢٧) ـ العقد الفريد ـ مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٧٤

(٢٨) ـ المصدر السابق، المجلد الثامن، الصفحة:٧٢

(٢٩) ـ ابن سريج: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج. توفي عام ٣٠٦ للهجرة. كان من عظماء الشافعيين وأئمة المسلمين. وكان يقال له: الباز الأشهب.

(٣٠) ـ المذكى: المذبوح.

(٣١) ـ لطائف اللطف أبو منصور الثعالبي، تحقيق الدكتور عمر الأسعد، الصفحة:٨٨ ومابعدها.

(٣٢) ـ الإمام مالك: أبو عبد الله مالك ابن أنس الأصبحي. ولد عام ٩٣ للهجرة ٧٠٢ ميلادية وتوفي عام ١٧٩ للهجرة/ ٧٩٥ ميلادية. أحد الأئمة الأعلام ومؤسس المذهب المالكي المعروف باسمه. وهو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة. ولد وتوفي في المدينة، عربي الأصل، أصله من أمراء حمير. كان يأخذ ←

وفسروا الخمر بما يشمل جميع الأنبذة، وعدّوها كلها محرمة. بينما أباح الإمام أبو حنيفة النعمان شرب النبيذ.

كتب الدكتور أحمد أمين يقول[٣٣]:

«... فذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل إلى سدِّ الباب بتاتاً. ففسروا الخمر بما يشمل جميع الأنبذة المسكرة من نبيذ التمر والزبيب والشعير والذرة والعسل وغيرها، وقالوا: كلها تسمى خمراً وكلها محرمة. أما الإمام أبو حنيفة ففسر الخمر بعصير العنب مستنداً إلى المعنى اللغوي لكلمة خمر، وأحاديث أخرى.

وأداه اجتهاده إلى تحليل بعض أنواع من الأنبذة كنبيذ التمر والزبيب إن طبخ أدنى طبخ وشرب منه قدر لايسكر. وكنوع يسمى الخليطين وهو أن يأخذ قدراً من تمر ومثله من زبيب فينقعهما في إناء ثم يصب عليهما ويتركهما زمناً. وكذلك نبيذ العسل والتين والبر والعسل. ويظهر أن الإمام أبا حنيفة في هذا كان يتبع الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الذي كان إمام مدرسة العراق وكان يرى حلَّ النبيذ... واتبعه عامة التابعين من الكوفيين»[٣٤].

← في اجتهاده بالكتاب والسنة والإجماع، وعمل أهل المدينة والقياس والمصالح المرسلة والاستحسان. انتشر مذهبه في المدينة حيث تركز المسلمون العرب. فكان لوجودهم بالمدينة ولجذورهم العربية أثر كبير في رفضهم نهج العقل والإبداع واتباعهم أسلوب النقل والاتباع. كما انتشر المذهب المالكي في مصر وشمال افريقيا والأندلس وبعض بلاد المشرق. له« الموطأ» الذي هو أساس المذهب المالكي. و«الرد على القدرية» و«الرسالة إلى الرشيد» و«المدونة الكبرى».

(٣٣) - ضحى الإسلام: الدكتور أحمد أمين، المجلد الأول، الصفحة:١١٩ ومابعدها.

(٣٤) - كتب الدكتور أحمد أمين على هامش الصفحة ١٢٠ من مؤلفه ضحى الإسلام، المجلد الأول يقول: أنه رجع في هذه الأحكام إلى شرح النووي على مسلم من المجلد الرابع الصفحة٣٦٢ والزيلعي المجلد السادس الصفحة:٢٥ ومابعدها...

كتب أحمد بن عبد ربه يقول[٣٥]:

«.. ولم يكن أحد من الكوفيين يُحرِّمُ النبيذ غير عبد الله بن إدريس وكان بذلك معيباً.

وقيل لابن إدريس: من خيارُ أهل الكوفة؟

فقال: هؤلاء الذين يشربون النبيذ

قيل: وكيف هم يشربون مايحرَّمُ عندك؟.

قال: ذلك مبلغهم من العلم».

وكتب أيضاً[٣٦]:

«... كان ابن المبارك يكره شرب النبيذ ويخالف فيه رأي المشايخ وأهل البصرة.

قال أبو بكر بن عياش، قلت له: من أين جئت بهذا القول في كراهيتك النبيذ ومخالفتك أهل بلدك؟.

قال: هو شيء اخترته لنفسي.

قلت: فتعيب من يشربه؟.

قال: لا

قلتُ: أنت ومااخترت».

لقد أباح الإمام أبو حنيفة النعمان شرب النبيذ دون التقيد حتى بالمقادير. وقال: بعدم معاقبة السكران من النبيذ. واعتماداً على ذلك سمح للمسلمين أن يتاجروا به، وعدَّه من الأموال المضمونة، كما اعتبره طاهراً ويجوز الوضوء به عند عدم الماء.

كتب النحاس في ناسخه ومنسوخه يقول[٣٧]:

---

(٣٥) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٧٥ ومابعدها.

(٣٦) ـ المصدر السابق، المجلد الثامن، الصفحة:٧٥ ومابعدها.

(٣٧) ـ الناسخ والمنسوخ: مصدر سابق المجلد الأول، الصفحة:٦٠٢

«... زعموا أن أبا فزارة[٣٨] روى عن أبي زيد عن ابن مسعود:

«أنه كان مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الجن وأنه توضأ بنبيذ التمر».

أخرج هذا الحديث أبو داوود في الطهارة باب الوضوء بالنبيذ الجزء الأول الصفحة ٦٦ الحديث رقم ٨٤ من طريق أبي فزارة عن أبي زيد عن عبد الله بن مسعود أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم قال له ليلة الجن: مافي إداوتك[٣٩]؟ قال: نبيذ، قال: ثمرة طيبة وماء طهور. والترمذي في أبواب الطهارة ـ باب ماجاء في الوضوء بالنبيذ الجزء الأول الصفحة:١٤٧ الحديث رقم ٨٨ من طريق أبي فزارة عن أبي زيد بنحو لفظ أبي داوود وفيه زيادة «فتوضأ منه». وابن ماجة في الطهارة وسننها ـ باب الوضوء بالنبيذ الجزء الأول، الصفحة: ١٣٥ الحديث رقم٣٨٤ . والإمام أحمد في الجزء الأول من طريق أبي فزارة عن أبي زيد بنحو لفظ الترمذي وغيرهم...[٤٠]

---

(٣٨) ـ أبو فزارة: هو راشد بن كيسان العبسي الكوفي ثقة.

(٣٩) ـ الإداوة: إناء صغير من جلد.

(٤٠) ـ الناسخ والمنسوخ، مصدر سابق المجلد الأول، هامش الصفحة:٦٠٢

الفصل الرابع

مدى التزام السلطة الإسلامية في تحريم الخمرة وتطبيق حد السكر

١ ــ عقوبة شارب الخمرة

اختلف الفقهاء حول عقوبة شارب الخمر هل هي أربعون أم ثمانون جلدة؟. علماً أن مصادر الحديث والسيرة النبوية لم تورد وقائع موثقة تؤكد تشريع عقوبة لشارب الخمر في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، كما مرَّ معنا. وذكر الماوردي المتوفي سنة ٤٥٠ للهجرة أن: «حد شارب الخمر كان أربعين جلدة إلى أن رأى عمر تهافت الناس فيه، فشاور الصحابة فقال علي بن أبي طالب: «أرى أن نحده ثمانين. فجلد فيه عمر بقية أيامه والأئمة من بعده ثمانين»[١].

من المعتقد أن العقوبة التي طبقت على شارب الخمر ابتداءً من العهد الراشدي، كانت تُطبق عملياً على حالة السكر لاعلى الشراب، بمعنى إذا ظهر أمر شارب الخمرة بين الناس وعُرف أنه سكران، وتجاوز في شربه درجة النشوة إلى درجة ذهاب العقل، طبق عليه الحد.

(١) ـ كتاب الأحكام السلطانية للماوردي أبو الحسن علي بن محمد حبيب، الصفحة:٢١٦

كتب النحاس في ناسخه ومنسوخه يقول[٢]:

«.. وقد حكى أحمد بن محمد بن الحجاج أن أحمد بن صالح سئل عن السكران فقال: أنا آخذ فيه بما رواه ابن جريج عن عمرو بن دينار عن يعلى بن مُنية عن أبيه قال: «سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حد السكران فقال: «هو الذي إذا استقرأته سورة لم يقرأها، وإذا خلطت ثوبه مع ثياب لم يخرجه». وفي إخراج آخر لهذا الأثر من رواية يعلى بن أمية قال: «قلت لعمر: إنا بأرض فيها شراب كثير يعني اليمن، فكيف نجلده؟.

قال: إذا استقرىء أم القرآن فلم يقرأها، ولم يعرف رداءه إذا ألقيته بين الأردية فأحدوه».

ومن الحوادث التي ذكرت ضمن هذا المنحى مارواه الشعبي إذا صدقت الرواية كما جاء في العقد الفريد.

كتب صاحب العقد يقول[٣]:

«.. شرب أعرابي من إداوة عمر فانتشى، فحدَّه عمر، وإنما حدَّه للسكر لاللشراب»[٤].

ويروي ابن سعد في طبقاته قال[٥]:

«.. ان عبد المجيد بن سهل قال: قدمت خناصرة في خلافة عمر بن عبد العزيز، وإذا قوم في بيت أهل خمر وسفه ظاهر. فذكرت ذلك لصاحب شرطة عمر،

---

(٢) ـ الناسخ والمنسوخ، مصدر سابق المجلد الأول، الصفحة: ٥٨١ وهامشها.

(٣) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٧٣

(٤) ـ رويت هذه الحادثة عن أبي إسحاق عن ابن ذي لعوة: «أن عمر حَدَّ رجلاً شرب من إداوته وقال: أحدُّك على السكر» عن الناسخ والمنسوخ، مصدر سابق المجلد الأول، الصفحة:٦٠٤

(٥) ـ المستطرف الجديد: هادي العلوي، الصفحة:٣٤

فقال: قد ذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال: من وارثه البيوت فاتركه».

وللخليفة عمر بن عبد العزيز رسالة بالأنبذة كان قد وجهها إلى أهل الأمصار بهذا المعنى جاء فيها: «..وقد أردت بالذي نهيت عنه من شرب الخمر وماضارع الخمر من الطِلاء، وماجُعل في الدبَّاء والجرار والظروف المزفتة وكل مسكر اتخاذ الحجة عليكم. فمن يطع منكم فهو خير له، ومن يخالف إلى مانُهي عنه نعاقبه على العلانية، ويكفينا الله ماأسر فإنه على كل شيء رقيب»[٦].

٢ ــ المرحلة الراشدية

لم يلتزم المسلمون من الوجهة العملية بمفهوم التحريم. والسلطة الإسلامية لم تتشدد في تطبيق حدِّ السكر وملاحقة الشاربين إلاّ إذا استثنينا عمر بن الخطاب المعروف بانضباطيته الصارمة. فقد ذكرت كتب الأدب روايات إذا صحت تقول: أن حدَّ السكر طبق بحق أولاد عمر الثلاثة، وهم: «عبد الله بن عمر الذي شرب بمصر فحدَّه هناك عمر بن العاص سِرّاً فلما قدم على عمر جلده حداً آخر علانية».

و«عبد الرحمن بن عمر المعروف بأبي شحمة حَدَّه أبوه في الشراب وفي أمر أنكره عليه فمات تحت حدِّه» وكذلك «عاصم بن عمر بن الخطاب حدَّه بعض ولاة المدينة في الشراب»[٧].

ومن الذين حدوا في الشراب قدامة بن مظعون، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، جلده عمر بن الخطاب بشهادة علقمة الخصي وغيره[٨]..

---

(٦) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٦٥

(٧) ـ المصدر السابق، المجلد الثامن، الصفحة:٥٦

(٨) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٥٦

ومن طريف مايُروى في هذا المجال، قصة الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان بن عفان لأمه. وكان الوليد من فتيان قريش وشعرائهم الذين عُرف عنهم التهتك في الشراب، ويُقال انه كان من الذين ارتدوا عن الإسلام ثم عادوا. عينه عثمان والياً على الكوفة، فشهد عليه أهل الكوفة أنه صلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ثم التفت إليهم فقال: إن شئتم زدتكم.

كتب الدكتور طه حسين يقول[٩]:

«.. وقصة الوليد بن عقبة ـ عامل عثمان رضي الله عنه على الكوفة ـ شائعة معروفة والرواة يزعمون أنه كان مدمناً على الشراب وأنه صلى بالناس الصبح مرة وهو سكران. فركع ثلاثاً ثم التفت إلى المصلين وقال: إن شئتم زدناكم».

وبعد أن يسرد صاحب العقد الفريد الأحداث نفسها[١٠]. يتابع القصة ويقول: «فجلده علي بن أبي طالب بين يدي عثمان بسوط له طرفان أربعين جلدة وفيه يقول الحطيئة[١١]:

---

(٩) ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات: الدكتور طه حسين، المجلد الثاني، الصفحة ٣٩٦

(١٠) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة: ٥٥ ومابعدها

(١١) ـ الحطيئة: اسمه جرول ويُكنى أبا مليكة، ولقب بالحطيئة لقصره أو لدمامته. كانت أمه أمَةً تسمى الضرّاء لأوس بن مالك العبسي الذي نشأ في حجره مغمور النسب. يقول عنه أبو الفرج: «.. من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك أجمع... وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. أسلم ثم ارتد وقال في ذلك:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ... فيا لعباد الله مالأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهرِ

عن الأغاني، المجلد الثاني، الصفحة: ١٥٧

ومن الرواة من نسب هذين البيتين إلى غيره. وكان الهجاء وسيلة الحطيئة إلى التكسب بدلاً من المديح. اشترى منه عمر بن الخطاب أعراض ←

شهد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّهُ — أن الوليد أحَقُّ بالعُذْرِ
نادى ـ وقد قَضّوا صلاتهمُ — أأزيدكم ـ ثملاً ومايدري
خلعوا عنانك إذ جريت ولو — خلُّوا عنانك لم تزل تجري[12]

٣ ـ الخلفاء الأمويون وشرب الخمرة

في الواقع لم يتوقف المسلمون عن شرب الخمرة في العهد الراشدي على الرغم من تطبيق حدِّ السكر على من يفتضح أمره. واستمر واقع تعاطيها يتسع ويزداد أيام الدولة الأموية على الرغم من تحول مفهوم النهي عن شربها كما ورد في المصحف إلى مفهوم التحريم لجميع أنواعها اذ عُدَّت الخمر محرمة بالكتاب والنبيذ حُرِّم بالسنة كما ذكر ابن قتيبة في كتاب الأشربة[13].

شرب الخمرة علناً بعض الخلفاء مثل الخليفة **يزيد بن معاوية**[14] مؤسس الدولة

← المسلمين بعد أن حبسه بعض الوقت.

كان ممن يتأنون في شعرهم ويعيدون النظر فيه. لذلك عُدَّ من أصحاب مدرسة عبيد الشعر. أثر عنه أنه قال: «خير الشعر الحوليّ المحكك».

(١٢) ـ وزعم الرواة: أن عثمان حاول أن يحمي أخاه وينقذه فلا يُطبق بحقه الحد، لكنه لم ينجح لأسباب متعددة. يمكن الرجوع إلى ديوان الحطيئة شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني تحقيق نعمان أمين طه للإطلاع على كامل القصة وأحداثها على الصفحات من ٢٣٢ إلى ٢٣٧ . كما أن المسعودي ذكر القصة في تاريخه مروج الذهب ومعادن الجوهر، المجلد الثاني، الصفحة ٣٤٠ ومابعدها.

(١٣) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة: ٦٠

(١٤) ـ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: كتب عنه ابن كثير يقول: «كان فيه إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات وإماتتها في غالب الأوقات... وكان فاسقاً فهو القائل:

لعبت هاشم بالملك فلا — مَلَكٌ جاء ولاوحي نزل»

وذكر اليعقوبي في تاريخه: «أن معاوية لما أراد أن يأخذ البيعة ←

الأموية، وثاني خليفة أموي. اذ قيل عنه إنه: «كان يشرب الخمر ويعزف بالطنابير وتضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب»[١٥].

وكان له شراب «يستحضر من عصير رمان حلوان وعسل أصفهان وعصير زبيب الطائف وسكر الأهواز وماء بردى»[١٦].

وكتب ابن عبد ربه عن يزيد هذا يقول[١٧]:

«... كان يُقال له يزيد الخمور ولما بلغه أن مِسْور ابن مخرمة يرميه بشرب الخمر كتب إلى عامله بالمدينة أن يجلد مسوراً حَدَّ الخمر ففعل.

فقال مسور في ذلك:

أيشربها صِرفاً بطين دنانها   أبو خالدٍ[١٨] ويُضربُ الحَدَّ مسورُ».

← لابنه يزيد من الناس طلب من زياد بن أبيه أن يأخذ بيعة المسلمين في البصرة، فكان جواب زياد ماذا يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقرود ويلبس المصبغات ويدمن الشراب ويمشي في الدفوف» عن تاريخ اليعقوبي المجلد الثاني الصفحة ٢٢ .

وقال البلاذري: «كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء والصيد واتخاذ القيان والغلمان والتفكه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعافرة بالكلاب... وكان له قرد سماه أبو سمير، احتل أرفع مكانة في قلب أمير المؤمنين يزيد لدرجة أنه حين مات القرد أمر أمير المؤمنين بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين. عن أنساب الأشراف للبلاذري، المجلد الرابع، الصفحة: واحد.

(١٥) ـ العصر الإسلامي: الدكتور شوقي ضيف، الصفحة: ١٩٤

(١٦) ـ من قاموس التراث: هادي العلوي، الصفحة: ٧١ نقلاً عن كتاب الطبقات لابن سعد.

(١٧) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٥٥

(١٨) ـ أبو خالد: هو الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية. الصِرف: الخالص من كل شيء، الخمرة لم يمزجها.

وأبو خالد هو صاحب وقعة الحرة عندما خرج عليه أهل المدينة وخلعوه سنة ثلاث وستين للهجرة لأنه أسرف في المعاصي فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً نهب المدينة وقتل فيها خلقٌ من الصحابة ومن غيرهم حيث بلغ عدد المقتولين من قريش والأنصار ثلاثمائة وستة رجال، وافتض فيها ألف عذراء وقالوا عن يزيد كما أخرج الواقدي أنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة[١٩].

ويقال إن عبد الملك بن مروان كان يُسمى حمامة المسجد لاجتهاده في العبادة قبل الخلافة، وأنه قد شرب الطِلا بعدما أفضت إليه الخلافة. فقال له سعيد بن المسيب:«بُلّغتُ ياأمير المؤمنين أنك شربت الطِلا، فقال: أي والله والدماء»[٢٠].

وكان يدخل عليه الشاعر النصراني اليعقوبي الأخطل[٢١] وصليبه يتدلى على

(١٩) ـ تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، الصفحة:١٩٤ ومابعدها.

(٢٠) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٧٢ . ورويت هذه الحادثة عن أم الدرداء التي كان كثيراً مايجلس إليها عبد الملك بن مروان وأنها هي التي قالت له مرة: «بلغني ياأمير المؤمنين أنك شربت الطِلا بعد النسك والعبادة، قال: أي والله والدماء قد شربتها». عن تاريخ الخلفاء للسيوطي، الصفحة:٢٠١

(٢١) ـ الأخطل: أبو مالك غياث بن برغوث التغلبي. يعتقد أنه ولد في الحيرة أو بادية الشام حوالي سنة ٦٤٠ للميلاد، وتوفي سنة ٧١٠ ميلادية. لقب بالأخطل لطول لسانه أو لارتخاء أذنيه. شاعر نصراني من بني تغلب قدم إلى دمشق واتصل بيزيد ابن معاوية وبالخلفاء من بعده حتى غدا شاعر الأمويين، وعبد الملك بن مروان خاصة، والمدافع عنهم ينصرهم بلسانه كما ينصرهم قومه برجالهم. فنال مكانة كبيرة عندهم. وقصائده في مدحهم وهجاء أعدائهم تعدُّ بحق نوعاً من الشعر السياسي. لقد كان الأخطل الشاعر الأكثر تعبيراً عن جوهر السياسة الأموية وأهدافها التي تتلخص بالطاعة ولزوم الجماعة وقبول الدولة الأموية والخضوع لسلطانها. لذلك قال عنه عبد الملك بن مروان: «إن لكل قوم شاعراً وأن الأخطل شاعر بني أمية». لأن عبد الملك كان يعي وعياً كاملاً حقيقة ←

صدره وهو يترنح من شدة السكر، فلا يغضب منه ولايعترض عليه. وحدث مرة أن تفاخر على الخليفة عندما أنشده:

إذا ما نديمي علَّني ثم علَّني ثلاث زجاجات لهُنَّ هديرُ
خرجتُ أُجرّ الذيل زهواً كأنني عليك أمير المؤمنين أميرُ[٢٢]

ومن طريف ماروواه أبو الفرج في أغانيه، حادثة لاتخلو من الطرافة جرت للأخطل الشاعر في مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان.

كتب أبو الفرج يقول[٢٣]:

«.. ودخل الأخطل على عبد الملك بن مروان، فاستنشده،

فقال: قد يبس حلقي فمر من يسقيني.

قال: اسقوه ماءً .

قال: شراب الحمار وهو عندنا كثير .

قال: فاسقوه لبناً .

قال: عن اللبن فطمت .

قال: فاسقوه عسلاً .

قال: شراب المريض .

قال: فتريد ماذا؟

← دور الشعر كسلاح فتاك في وجه الخصوم، وكناشر للمآثر، وكسجل خالد لايفنى. دخل الأخطل مع جرير في نقائض هجائية. كما تدخل في الخصومة بين جرير والفرزدق. أحد الشعراء الثلاثة الذين أجمع النقاد على تفوقهم في العصر الأموي، وينفرد عنهم بوصف الخمرة. دوَّن ديوانه أبو سعيد السكري ومحمد بن عباس اليزيدي. وحققه فخر الدين قباوة. ديوانه ونقائضه مطبوعان.

(٢٢) ـ شعر الأخطل: صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة، الجزء الثاني، هامش الصفحة: ٧٥٥

(٢٣) ـ كتاب الأغاني:أبو الفرج الأصبهاني، المجلد الثامن، الصفحة:٢٩٠

قال: خمراً ياأمير المؤمنين

قال: أوعهدتني أسقي خمراً، لا أُمَّ لك، لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت.

فخرج فلقى فرَّاشاً لعبد الملك

فقال: ويلك إن أمير المؤمنين استنشدني وقد صحل[٢٤] صوتي فاسقني شربة خمر، فسقاه.

فقال: اعدله بآخر، فسقاه آخر.

فقال: تركتهما يعتركان في بطني، اسقني ثالثاً، فسقاه ثالثاً.

فقال: تركتني أمشي على واحدة اعدل ميلي برابع، فسقاه رابعاً.

فدخل على عبد الملك فأنشده القصيدة التي مطلعها:

خفَ القطين فراحوا منك أو بكروا   وأزعجتهم نوىً في صرفها غيرُ[٢٥]

فقال عبد الملك: خُذ بيده ياغلام فأخرجه، ثم الق عليه من الخلع مايغمره، وأحسن جائزته.

وقال: لكل قوم شاعر وأن شاعر بني أمية هو الأخطل».

وقيل إن عبد الملك قال للأخطل مرة[٢٦]:

«..ألا تُسلم فنفرض لك في الفيءِ[٢٧] ونعطيك عشرة آلاف؟

قال: فكيف بالخمر؟

قال: وماتصنع بها وأن أولها لَمُرٌ، وأن آخرها لسكر؟

---

(٢٤) ـ صَحَلَ: بُحَّ

(٢٥) ـ خَفَّ القطين: أسرع، القطين: المجاورون. النوى: الوجهة التي يقصدون. الصِرف: التقلب. الغير: التغيير.

(٢٦) ـ كتاب الأغاني: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة: ٢٩٠

(٢٧) ـ الفيء: جمع أفياء، الغنيمة، الخراج.

فقال: أما إذا قلت ذلك فإن فيما بين هاتين لمنزلة ما ملكك فيها إلاَّ كلعقة ماء من الفرات بالإصبع».

ومما يروى عن الخليفة عبد الملك بن مروان أيضاً، حادثة جرت له مع الأقيشر[٢٨] الشاعر.

قال عبد الملك للأقيشر:

«...أنشدني أبياتك في الخمر، فأنشده قوله:

تُريك القذى من دونها وهي دونه   بوجه أخيها في الإناء قطوبُ
كُميتٌ إذا فُضَّتْ وفي الكأس وردةٌ   لها في عظام الشاربين دبيبُ

فقال له: أحسنت ياأبا مُعرض، ولقد أجدت في وصفها وأظنك قد شربتها.

فقال: والله ياأمير المؤمنين إنه ليريبني منك معرفتك بهذا»[٢٩].

وكتب الراغب الأصبهاني يقول[٣٠]:

«.. إن الوليد بن عبد الملك كان يشرب يوماً ويستريح يوماً.

وسليمان كان يشرب كل ليلة، وهشام يسكر في كل جمعة، ويزيد بن الوليد مدمن الشرب فكان دهره بين سكر وخمار».

ويروي ابن عبد ربه عن سليمان بن عبد الملك فيقول[٣١]:

---

(٢٨) - الأقيشر: لقب أطلق عليه. اسمه المغيرة بن عبد الله بن مُعْرض. لقب بالأقيشر لأنه كان أحمر الوجه أقشر. كان الأقيشر شاعراً كوفياً خليعاً ماجناً مدمناً على شرب الخمر.

(٢٩) - كتاب الأغاني: مصدر سابق، المجلد الحادي عشر، الصفحة:٢٦٩

(٣٠) - محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء: الراغب الأصبهاني، تصحيح الشيخ حسن الفيومي إبراهيم، الجزء الأول، الصفحة:٣٣٨ .

(٣١) - العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد السابع، الصفحة:٦١

«... ودخل أبو زيد الأسدي على سليمان بن عبد الملك بن مروان.

فقال له سليمان: ياأبا زيد مايَطيبُ في يومنا هذا؟.

فقال: أعزَّ الله الأمير، قهوة صفراء في زجاجة بيضاء تناولها مقدودة هيفاء مضمومة لفَّاء(٣٢) مكحولة دعجاء(٣٣) أشربها من كفها وأمسح فمي بفمها».

وعن الخليفة الوليد قال(٣٤):

«... ذهب به الشراب كل مذهب وهو القائل:

خذوا ملككم لاثبت الله ملككم	ثباتاً يساوي ماحييتُ عِقالا
دعوا لي سليمي والنبيذ وقينةً	وكأساً ألا حسبي بذلك مالا
أبا الملك أرجو أن أخلدً فيكم	ألا رُبَّ ملك قد أريل فزالا

وكتب عنه صاحب الأغاني يقول(٣٥):

«... كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يوم الاثنين تغدى وشرب رطلين(٣٦) ثم جلس للناس.

---

(٣٢) ـ اللَّفَّاء: كثيرة لحم الفخذين.

(٣٣) ـ الدعجاء: الدعج شدة سواد العين مع سعتها.

(٣٤) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٥٨

(٣٥) ـ كتاب الأغاني: مصدر سابق، المجلد السابع، الصفحة:٦٠

(٣٦) ـ الرطل: يقول ابن فارس: رِطل الراء والطاء واللام ليس بشيء. إلاّ أنهم يقولون للشيء يُكال به رِطل عن معجم مقاييس اللغة المجلد الثاني الصفحة:٤٠٣ . وقال ابن السكيت الرِطل الذي يوزن به ويُكال. وعن ابن الأعرابي: الرِطل اثنا عشرة أوقية بأواقي العرب والأوقية أربعون درهماً، فذلك أربعمائة وثمانون درهماً. وعن الليث الرِطل مقدار مِن. والجوهري: الرِطل نصف منٍ. عن لسان العرب المجلد الحادي عشر الصفحة: ٢٨٥ ومابعدها. حالياً يقدر الرطل بـ اثنا عشرة أوقية أو ٢٥٦٤ غراماً آرامية.

قال: حدثني عمر الوادي[37] قال: دخلت عليه وعنده أصحابه وقد تغدى وهو يشرب.

فقال لي: اشرب، فشربت، وطرب وغنى صوتاً واحداً وأخذ دفافة فدفف بها، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب فلما رآنا الحاجب صاح بالناس الحُرَم الحرم، أخرجوا.

ودخل الحاجب فقال: جعلني الله فداك، اليوم يحضر فيه الناس.

فقال: اجلس واشرب

فقال: إنما أنا حاجب فلا تحملني على الشراب فما شربته قط.

فقال: اجلس واشرب.

فامتنع، فما فارقناه حتى صببنا في حلقه بالقمع، وقام وهو سكران».

وعن مجالس الشراب التي كانت تعقد في قصر الوليد يحدثنا عُطَرَّد[38] عن مجلس للوليد كان يغنيه فيه قال: «أُدخلت على الوليد بن يزيد وهو جالس في قصره على شفير بركة مرصَّصَة مملوءة خمراً، ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سباحة. فوالله ماتركني أسلم عليه حتى قال: لقد كنت إليك مشتاقاً يا أبا هارون، غنني:

---

(٣٧) ـ عمر الوادي: هو عمر بن داود بن زاذان. قال عنه أبو الفرج: كان عمر مهندساً وأخذ الغناء عنه حكم وذووه من أهل وادي القرى. قدم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن. وكان طيب الصوت شجيه مطرباً. اتصل بالوليد ابن يزيد في أيام إمارته فتقدم عنده جداً وكان يسميه «جامع لذاتي ومحيي طربي». قتل الوليد وعمر يغنيه وكان آخر عهده به من الناس» عن كتاب الأغاني، المجلد السابع، الصفحة ٨٥ .

(٣٨) ـ عُطَرَّد: مُغنٍّ مدني يُكنى أبا هرون. وزعم إسحاق أنه كان جميل الوجه حسن الغناء طيب الصوت، جيد الصنعة، حسن الرأي والمروءة. فقيهاً قارئاً للقرآن. وكان يغني مرتجلاً. أدرك دولة بني أمية وبقي إلى أيام الرشيد. عن كتاب الأغاني، المجلد الثالث، الصفحة:٣٠٣

حَيِّ الحُمول بجانب العَزْلِ   إذ لايلائم شكلها شكلي
إني بحبلك واصل حبلي   وبريش نبلك رائش نبلي
وشمائلي ماقد علمتِ وما   نبحت كلابُك طارقاً مثلي

قال: فغنيته فوالله ماأتممته حتى شقَّ حلة وشى كانت عليه لاأدري كم قيمتها.

فتجرد كما ولدته أمه، وألقاها نصفين ورمى بنفسه في البركة فنهل منها حتى تبينت علم الله فيها أنها قد نقصت نقصاناً بيناً. وأخرج منها وهو كالميت سكراً، فاضجع وغُطي. فأخذت الحلة وقمت منصرفاً إلى منزلي متعجبا مما رأيت من ظرفه وفعله وطربه... وفعل في اليوم الثاني كما فعل في اليوم السابق... ولما كان اليوم الثالث، جاءني رسوله فدخلت إليه وهو في بهو قد ألقيت ستوره فكلمني من وراء الستور.

قال: ياعُطرّد

قلت: لبيك ياأمير المؤمنين.

قال: كأني بك الآن قد أتيت المدينة فقمت بي في مجلسها ومحفلها وقعدت. وقلت دعاني أمير المؤمنين فدخلت عليه وفعل وفعل. والله يابن الزانية لئن تحركت شفتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضرِبَنَّ عنقك. ياغلام أعطه ألف دينار، خذها وانصرف إلى المدينة. فخرجت من عنده وماعلم الله أني ذكرت شيئاً مما جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدة»[٣٩].

وشرب الخمرة بعض النساء الأمويات الشريفات وأدمن عليها مثل زوجة الخليفة هشام بن عبد الملك المعروفة بأم حكيم التي كانت ـ كما قيل عنها ـ منهومة بالشراب مدمنة عليه لاتكاد تفارقه. وكان لها كأس كبيرة تشرب بها من الزجاج الأخضر على هيئة قحف تسع ثلاثة أرطال ـ كما وصفها المادرائي ـ ولها قائم[٤٠] فيه من الذهب ثمانون مثقالاً[٤١]. ويروي أبو الفرج عن إسماعيل

---

(٣٩) ـ كتاب الأغاني: مصدر سابق، المجلد الثالث، الصفحة:٣٠٧ ومابعدها.

(٤٠) ـ القائم: المقبض

(٤١) ـ المثقال: مايوزن به عُرفاً يساوي درهماً ونصف درهم وربما زاد أو نقص عن ذلك.

ابن مجج أنه قال: «كنا نخرج مافي خزائن المأمون من الذهب والفضة ونزكي عنه، فكان فيما يزكي عنه قائم كأس أم حكيم وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً»[٤٢].

واشتهر كأس أم حكيم بين الناس لدرجة أن الخليفة الوليد بن يزيد كان يشرب به لشدة إعجابه به، وقد وصفه شعراً.

قال الوليد بن يزيد[٤٣]:

علــلانــي بـعــاتـقــات الـكــروم واسـقـيــانـي بـكــأس أم حـكـيـم

إنــهــا تــشــرب المدامــة صِــرفــاً فـي إنـاء مـن الـزجـاج عـظـيـم

٤ ـ العباسيون ومجالس الشراب

ومع استيلاء بني العباس على مقاليد الخلافة شاع أمر شرب الخمرة وانتشر بشكل أوسع بكثير من أيام الأمويين، ليس فقط بين الأغنياء والفنانين والشعراء، بل وقع في شراك عشقها الكثير من رجال العلم والفضل من الذين اشتهروا بالتديُّن والتقوى وبرزوا في الفقه والحديث وعلم الكلام.

كما عبَّ من رحيقها الخلفاء العباسيون حماة الدين وقدوة المسلمين.

كتب الراغب الأصبهاني يقول[٤٤]:

«... فقد روى عن المنصور أنه لم يشرب إلاَّ عشية الثلاثاوات».

ويروي أبو الفرج طرفة حدثت بين الخليفة المنصور والشاعر العباسي الماجن أبي دلامة[٤٥]، تبين لنا كيف أن المنصور كافأ أبا دلامة على حالة السكر التي قُبض

(٤٢) ـ مختار الأغاني: جمال الدين بن منظور المصري، المجلد الأول، الصفحة:٣٤٨

(٤٣) ـ المصدر السابق، المجلد الأول، الصفحة:٣٤٨

(٤٤) ـ محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء: مصدر سابق، الجزء الأول، الصفحة: ٣٣٨

(٤٥) ـ أبو دلامة: زند بن جون، كوفي أسود، نبغ أيام بني العباس وانقطع إلى أبي العباس وأبي جعفر المنصور والمهدي، ولم يصل لأحد من الشعراء ماوصل إلى أبي دلامة من المنصور خاصة. كان فاسد الدين رديء المذهب، مرتكباً للمحارم، مضيعاً للفروض مجاهراً بذلك. وكان المنصور يغض النظر عنه للطف محله؟!.

عليه بها بدلاً من أن يطبق عليه حَدَّ السكر.

كتب أبو الفرج يقول[٤٦]:

«.. ومضى أبو دلامة فشرب في بعض الحانات فسكر وانصرف وهو يميل.

فلقيه العسس فأخذوه.

وقيل له: من أنت؟ ومادينك؟.

فقال:

دِيني على دين بني العباس ماختم الطين على القرطاسِ
إني اصطبحتُ أربعاً بالكأس فقد أدار شربها برأسي
فهل بما قلتُ لكم من بأس

فأخذوه ومضوا، وخرقوا ثيابه وساجه[٤٧] وأتي به أبو جعفر وكان يؤتي بكل من أخذه العسس. فحبسه مع الدجاج في البيت.

فلمّا أفاق جعل ينادي غلامه مرة، وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد وهو في ذلك يسمع صوت الدجاج وزقّاء الديوك. فلما أكثر قال له السجان: ماشأنك؟

قال: ويلك من أنت؟ وأين أنا؟

قال: في الحبس وأنا فلان السجان

قال: ومن حبسني؟

قال: أمير المؤمنين .

قال: ومن خرق طيلساني؟

قال: الحرس.

فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس.

---

(٤٦) ـ كتاب الأغاني: مصدر سابق، المجلد العاشر، الصفحة: ٢٥١ ومابعدها .

(٤٧) ـ الساج: الطيلسان الواسع المدور.

ففعل. فكتب إلى أبي جعفر:

أمير المؤمنين فدتك نفسي ... علام حبستني وخرقت ساجي
أمن صفراء صافية المزاج ... كأن شعاعها لهب السراج
وقد طُبخت بنار الله حتى ... لقد صارت من النُطف النضاج[48]
تهشُّ لها القلوب وتشتهيها ... إذا برزت ترقرق في الزجاج[49]
أُقاد إلى السجون بغير جرم ... كأني بعض عمال الخراج
ولو معهم حبستُ لكان سهلاً ... ولكني حبستُ مع الدجاج
وقد كانت تخبرني ذنوبي ... بأني من عقابك غير ناجي
على أني وإن لاقيت شراً ... لخيرك بعد ذاك الشرِّ راجي

فدعا به وقال: أين حُبست ياأبا دلامة؟.

قال: مع الدجاج.

قال: فما كنت تصنع؟

قال: أقوقي معهن حتى أصبحت.

فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة».

ويروي آخرون أن أول من شربها من خلفاء بني العباس كان الخليفة الهادي الذي: «كان يتناول المسكر ويلعب ولايقيم للخلافة أبهة»[50]. وأن الخليفة المهدي لم يشربها؟! بل عطَّل حدَّها وعفا عمن شربها. ويقصدون بذلك ماجرى بينه وبين الشاعر إبراهيم بن هرمة[51].

---

(٤٨) ـ النُطف: النطفة هي الماء الصافي قلَّ أو كثر.

(٤٩) ـ برزت ترقرق: تتلألأ: أي تجيء وتذهب.

(٥٠) ـ تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، الصفحة: ٢٦٠

(٥١) ـ ابن هرمة: هو الشاعر إبراهيم بن علي بن هرمة اشتهر بالنبيذ وكان مدمناً عليه. ويقال: انه مر على جيرانه وهو شديد السكر حتى دخل منزله، فلما كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها . ←

كتب صاحب العقد يقول[٥٢]:

«.. كان إبراهيم بن هرمة مغرماً بالشراب، وحدّه عليه جماعة من عمال المدينة. وعندما مدح الخليفة المهدي بقصيدة يقول فيها:

له لحظات على حفافي سريرةٍ إذا كرَّها فيها عقاب ونائل

فأعجب المهدي بشعره وقال: سل حاجتك؟

قال: تأمر لي بكتاب إلى عامل المدينة أن لايحدّني على شراب.

فقال له: ويلك كيف نأمر بذلك؟ لو سألتني عزل عامل المدينة وتوليتك مكانه لفعلتُ ذلك.

قال: يا أمير المؤمنين لو عزلت عامل المدينة ووليتني مكانه أما كنت تعزلني أيضاً وتولي غيري؟.

قال: بلى.

قال: أفكنت أرجع إلى سيرتي الأولى فأحَدُّ.

فأمر المهدي أن يكتبوا إلى عامل المدينة: «من أتاك بابن هرمة سكران فاضرب ابن هرمة ثمانين واضرب الذي يأتيك به مئة». فكان الجلواز[٥٣] إذا مرَّ بابن هرمة سكران قال: من يشتري الثمانين بالمئة»[٥٤].

← فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أما سمعتم قولي:

أسأل الله سكرة قبل موتي وصياحُ الصبيان ياسكرانُ

وكان ابن الأعرابي يقول عنه وعن شعره: «ختم الشعراء بابن هرمة». وكان هو يقول عن نسبه: أنا ألأم العرب دعيٌّ أدعياء» عن الأغاني، المجلد الرابع، الصفحات: ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٩٧.

(٥٢) - العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة: ٥٨

(٥٣) - الجلواز: الشرطي. وسمي بذلك لسرعته وخفته في ذهابه ومجيئه بين يدي الأمير.

(٥٤) - ذكر أبو الفرج أن هذه الطرفة جرت بين الخليفة المنصور والشاعر ابن هرمة. عن كتاب الأغاني، المجلد الرابع، الصفحة: ٣٧٥

وكتب الأستاذ سامي الكيالي يقول[٥٥]:

«... إن العباس بن عم الخليفة المنصور كان يأخذ كأس الخمر بيده ويقول: أما العقل فتتلفين، وأما المروءة فتمحقين، وأما الدين فتفسدين... ويسكت ساعة ثم يقول: وأما النفس فتسخين وأما القلب فتشجعين وأما الهم فتطردين، أفتراك مني تفلتين ثم يشربها».

وكان للخليفة هارون الرشيد مجالسه الخاصة التي يشرب فيها الخمر فكان «يشرب في يومين، الاحد والثلاثاء، وما رآه أحد يشرب نبيذاً ظاهراً»[٥٦].

بينما يتهكم الجاحظ[٥٨] على أولئك الذين قالوا انَّ الرشيد لم يشرب الراح فقال: «ومن خبَّرك أنه رآه قط وهو لا يشرب إلّا الماء فكذِّبهُ، وكان لا يحضر شربه إلّا خواص جواريه. وكان يشرب في كل جمعة مرتين وربما قدم أيامه وأخّرها، على أنه لم يره أحد قط يشرب ظاهراً»[٥٨].

وفي محاولة من المؤرخ ابن خلدون[٥٩] يدفع فيها تهمة شرب الخمر عن الخليفة

(٥٥) ـ خمر وشعر: سامي الكيالي، الصفحة: ٣١

(٥٦) ـ المختار من قطب السرور في أوصاف الخمور: علي نورالدين المسعودي تحقيق عبد الحفيظ منصور.

(٥٧) ـ الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. ولد في البصرة عام ٧٧٥ للميلاد وتوفي فيها عام ٨٦٩ ميلادية بعد أن أصيب في أخر حياته بفالج نصفي. كان الجاحظ ثاقب البصيرة متزن العقل، دقيق التفكير، حر الفكر، مع روح مرحة فكهة، وقلم رشيق. نُسبت إليه فرقة الجاحظية وهي فرقة ذات ميول معتزلية. ولّاه المأمون ديوان الرسائل فلم يستطع البقاء تحت قيوده. صَوّر الجاحظ أحوال عصره وحياة أهل زمانه وأخلاقهم وعاداتهم. من مؤلفاته: «الحيوان» «البيان والتبيين» «البخلاء» «التاج في أخلاق الملوك» وغيرها...

(٥٨) ـ التاج في أخلاق الملوك: عمرو بن بحر الجاحظ، الصفحة: ٣٧ وما بعدها.

(٥٩) ـ ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي ومن أعلام زمانه في الإدارة والسياسة والقضاء ←

هارون الرشيد كتب يقول: « وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ الخمر على مذهب أهل العراق وفتاويهم فيها معروفة. وأما الخمر الصِرف فلا سبيل إلى اتهامه بها»(٦٠).

ويؤكد على ذلك ابن حزم فيقول: «كان الرشيد يشرب مااختلف في جوازه وأما خمر العنب فلا»(٦١).

كتب الدكتور طه حسين يقول(٦٢):

«... ولقد آن لنا ألا نخدع أنفسنا بما كان يخدع به ابن خلدون نفسه في أمر الرشيد وأمثال الرشيد، فقد تحدثوا أن الرشيد كان يصلي في كل يوم مئة ركعة، وأنه أمضى خلافته بين الحج والغزو. فظن ابن خلدون أن هذا وحده يكفي لتبرئة الرشيد مما أضيف إليه من أنه كان يلهو ويسكر. وكذلك ذكروا عن المأمون خلالاً نقية وخصالاً طاهرة ربما صحت كلها، ولكنها لم تمنع المأمون من أن يلهو ويشرب الخمر».

وقال الأصمعي(٦٣):

«.. دخلت على الرشيد وهو في الفرش منغمس كما ولدته أمه.

فقال لي: ياأصمعي من أين طَرِفت اليوم؟

قال: قلت احتجمتُ

قال: وأي شيء أكلت عليها؟.

قلت: سكباجة وطباهِجة.

← والأدب والعلوم. ولد في تونس سنة ٧٣٢ للهجرة/١٣٣٢ ميلادية وتوفي في القاهرة سنة ٨٠٨ للهجرة/ ١٤٠٦ ميلادية. استقر في مصر ودرَّس في الأزهر وتولى قضاء المالكية. ألف في التاريخ فكان رائداً، ومؤسساً لعلم فلسفة التاريخ والاجتماع وذلك في مقدمته لتاريخه العبر وديوان المبتدأ والخبر.

(٦٠) ـ مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، الصفحة:١٨

(٦١) ـ نقط العروس: ابن حزم، الصفحة:٧٣

(٦٢) ـ المؤلفات الكاملة للدكتور طه حسين، مصدر سابق، المجلد الثاني، الصفحة:٣٨٧

قال: رميتها بحجرها، ثم قال: هل تشرب؟.

قلت: نعم ياأمير المؤمنين.

اسقني حتى تراني مائلاً وترى عمران ديني قد خرب

قال: يامسروق أي شيء معك؟.

قال: ألف دينار.

قال: ادفعها إليه»(٦٤).

وكان أبو عيسى بن الرشيد يقول لعمه إبراهيم بن المهدي:« السكر على صوتك شهادة ياعَمْ»(٦٥).

ويصف صاحب العقد الفريد مجلس شراب وطرب لإبراهيم الموصلي(٦٦)

قال: «...وحدث يحيى بن محمد قال: بينما نحن على باب الرشيد ننتظر الإذن إذ خرج الآذن فقال لنا: أمير المؤمنين يقرئكم السلام. قال: فانصرفنا، فقال لنا إبراهيم: تصيرون إلى منزلي. قال: فانصرفنا معه، قال: فدخلت داراً لم أر أشرف منها ولاأوسع، وإذا أنا بأفرشة خز مظهرة بالسنجاب، قال: فقعدنا،

---

(٦٣) ـ الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك، قيل ولد عام ٧٤٠ للميلاد وتوفي عام ٨٢٨ ميلادية. من مشاهير لغويّي العرب. تعلم في البصرة على الخليل وأبي عمرو بن العلاء، وأخذ عن خلف الأحمر، وحفظ لغة البدو. عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين. له كتاب «خلق الإنسان» و«كتاب الخيل» و«كتاب الإبل» و«كتاب الأضداد» والمجموعة الشعرية «الأصمعيات». ويقال لولاه لفقدنا الكثير من دواوين العرب وأشعارهم.

(٦٤) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد الثامن، الصفحة:٤٦

(٦٥) ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور الثعالبي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم الصفحة:١٥٤

(٦٦) ـ إبراهيم الموصلي: ولد في الكوفة سنة ٧٤٢ ميلادية وتوفي في بغداد في خلافة الرشيد عام ٨٠٤ للميلاد. فارسي المنتسب ومن أشهر موسيقي العرب، وركن من أركان الغناء العربي في العصر العباسي. برع في الغناء والعزف على العود، حظي بمادمة المهدي والهادي والرشيد عُرف بالنديم.

ثم دعا بقدح كبير فيه نبيذ وقال:

أسقني بالكبير إني كبيرٌ ... إنما يشربُ الصغيرَ صغيرُ

ثم قال:

أسقني قهوة بكوب كبير ... ودعِ الماء كله للحمير

ثم شرب به، وأمر به فملىء وقال لنا: إن الخيل لاتشرب إلاّ بالصفير، ثم أمر بجَوارٍ فأحطن بالدار، فما شبهت أصواتهن إلاّ بأصوات طير في أجمة يتجاوبن»(٦٧).

ويحدثنا عبد الله بن المعتز(٦٨) عن مجلس شراب وغناء للخليفة الأمين جمع أبا نواس وطائفة من ندماء الخليفة الذي كان أشد ميلاً وأكثر علانية عن بعض من سبقه من الخلفاء إلى اللهو والمجون والشراب إذ «حوَّل قصر الخلافة إلى مقصف كبير»(٦٩).

قال ابن المعتز(٧٠):

«.. فأتي بالشراب كأنه الزعفران، أصفى من وصال المعشوق وأطيب ريحاً من نسيم المحبوب. وقام سقاة كالبدور بكؤوس كالنجوم، فطافوا عليهم. وضربت المغنيات خلف الستائر بمزاهرها. فشربوا معه من صدر نهارهم إلى آخره في مذاكرة أحاديث كقطع الرياض، ونشيد كالدر المفصل بالعقيان، وسماع يُحْيِي النفوس ويزيد في الأعمار. فلما كان آخر النهار دعا بعشرة آلاف دينار في

---

(٦٧) ـ العقد الفريد: مصدر سابق، المجلد السابع، الصفحة:٢٩

(٦٨) ـ ابن المعتز: هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل، ولد سنة ٢٤٩ هجرية وتوفي في ٢٩٦ هجرية. خليفة ابن خليفة. ويقال ان خلافته امتدت يوماً وليلة... أمير النسيب كما هو أمير الأدب، له ديوان شعر مطبوع وتآليف منها: الزهر والرياض والبديع وطبقات الشعراء، والجامع في الغناء وغيرها من المؤلفات.

(٦٩) ـ العصر العباسي الأول: الدكتور شوقي ضيف، الصفحة:٢٢٥

(٧٠) ـ طبقات الشعراء: عبد الله بن المعتز، الصفحة:٢١٠

صواني فأمر فنثرت عليهم فانتهبوها والشراب بعد يدور عليهم بالكبير والصغير من الصِرف والممزوج حتى إذا نام واستيقظ في السحر طلب إلى أبي نواس أن يُنَشِّطَه إلى متابعة السكر ببعض الأبيات فأنشده:

نَبِّهْ نديمك قد نَعَسْ	يسقيك كأساً في الغَلَسْ
صِرفاً كأن شعاعها	في كفِّ شاربها قبَسْ
تذر الفتى وكأنما	بلسانه فيها خَرَسْ
يُدعى فيرفع رأسه	فإذا استقلَّ به نَكَسْ

أما الخليفة المأمون فكان أعلم الناس بموائد الشراب ومجالس الغناء ومايترتب عنها من مخاطر ومخاوف فيما لو علمت بها العامة وتسربت أخبار الخاصة إلى من لايحفظ سراً ولايقدر مقاماً. فأطلق قوله المشهور: «**النبيذ ستر فانظر مع من تهتكه**»[71]. ومن أقواله أيضاً: «**مجلس النبيذ بساط يطوى مع انقضائه**»[72].

كتب بهاء الدين العاملي يقول[73]:

«اصطبح المأمون وعنده عبد الله بن طاهر ويحيى بن أكثم. فغمز المأمون الساقي على إسكار يحيى، فسقاه حتى تلف وبين أيديهم رزم فيه ورد. فشقوا له فيه شبه اللحد ودفنوه في الورد. ونظم المأمون فيه هذين البيتين وأمر بعض جواريه فغنت بهما عند رأس يحيى:

ناديته وهو ميت لاحراك به	مكفن في ثياب من رياحين
وقلتُ: قم، فقال: رحلي لاتطاوعني	فقلت: خُذ، قال كفي لايواتيني

وجعلت تردد الصوت فأفاق يحيى وهو تحت الورد فأنشأ يقول مجيباً:

(٧١) ـ لطائف اللطف: أبو منصور الثعالبي، تحقيق الدكتور عمر الأسعد، الصفحة: ٤١

(٧٢) ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: مصدر سابق الجزء الأول الصفحة: ٣٣١

(٧٣) ـ الكشكول: بهاء الدين العاملي. تحقيق أحمد الزاوي، المجلد الأول، الصفحة: ٢٦٦

ياسيدي وأمير الناس كُلِّهم قد جار في حكمه من كان يسقيني
إني غفلت عن الساقي فصيرني كما تراني سليب العقل والدين
لاأستطيع نهوضاً قد وهى بدني ولاأجيب المنادي حين يدعوني
فاختر لنفسك قاضٍ إنني رجل الراح تقتلني والعودُ يُحييني»

ويروي الأبشيهي عن الخليفة الواثق فيقول[٧٤]:

«.. إن الخليفة الواثق كان يرقد في المكان الذي يشرب فيه ويرقد معه ندماؤه».

وكتب الجاحظ عنه يقول[٧٥]:

«.. كان مدمناً الشرب، غير أنه لم يكن يشرب في ليلة الجمعة ولايومها».

ومما ترويه كتب الأدب والتاريخ في هذا المجال ماكان يجري في مجالس الشراب الخاصة بالوزير المهلبي.

كتب الثعالبي يقول[٧٦]:

«.. وكان جماعة من الكبراء ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة منهم ثلاثة قضاة هم: **ابن قريعة وابن معروف والتنوخي** ومامنهم إلاَّ أبيض اللحية طويلها. فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذَّ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار للعقار وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش. ووُضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب وزنه ألف مثقال إلى مادونها مملوءاً شراباً

---

(٧٤) ـ المستطرف في كل فن مستظرف: الأبشيهي، المجلد الثاني، الصفحة:١٨٧

(٧٥) ـ التاج في أخلاق الملوك: عمرو بن بحر الجاحظ، الصفحة:١٥٣

(٧٦) ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: الثعالبي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المجلد الثاني، الصفحة: ٣٣٥

قطربليا[٧٧] أو عكبريا[٧٨] فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ويرش بها بعضهم على بعض، ويرقصون أجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق[٧٩] البرم[٨٠] ويقولون كلما كثر شربهم هرهر. وإياهم عَنَى السري الرَّفاء حينما قال[٨١]:

مجالس ترقُص القضاة بها	إذا انتشوا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا	بشيمة حلوة من الشيم
تُخضِّبُ بالراح شيبه عبثاً	أنامل مثل حمرة العنم
من تخال العيون شيبته	شيبةُ فعلان ضُرِّجت بدمِ

وإذا أصبحوا عادوا لعاداتهم من التزمت والتوقر والتحفظ بأُبَّهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء».

لقد سيطر حب الخمرة على تصرفات أكثر الناس، وترك عشقها آثاره في عقليتهم ومستوى تصرفاتهم، لدرجة أن بعضهم لجأ سنة ٣٧٧ للهجرة إلى تسمية «ولده مداماً، وكناه أبا الندامى، وسمّى ابنته الراح وكنّاها أم الأفراح، وسّمى عبده الشراب وكنّاه أبا الإطراب، وسمى وليدته القهوة وكناها أم

---

(٧٧) ـ قطربلياً: نسبة إلى قطربل: وهي قرية بين بغداد والمزرفة يُنسب إليها الخمر. وكانت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين. عن «معجم البلدان ياقوت الحموي»، المجلد الرابع، الصفحة: ١٣٣

(٧٨) ـ عكبرياً: نسبة إلى عكبرا: وهي منطقة اشتهرت بجودة خمرها.

(٧٩) ـ مخانق: مفردها مخنقة، القلادة

(٨٠) ـ البرم: نوع من الثياب

(٨١) ـ **السري الرَّفاء**: هو السري بن أحمد الكندي المعروف بالرفاء من شعراء الموصل عمل عندما كان صبياً رفاءً بالموصل. فكان يرفو ويطرز الثياب إلى أن قضى باكورة الشباب. ثم تكسب بالشعر وانتقل إلى تطريز الكتاب. فاتصل بسيف الدولة ومدحه وانقطع إليه. بعد وفاته عاد إلى بغداد ومدح الوزير المهلبي وسار شعره في الآفاق.

النشوة»[٨٢]. ومن أطرف مايروى في ذلك العصر عن تسويغ شرب الراح من قبل الفقهاء والمحدثين ماكتبه أبو منصور الثعالبي.

كتب الثعالبي يقول[٨٣]:

«... إن أبا محمد السرجي كان من ظرفاء الفقهاء والمحدثين ببغداد. فركب يوماً في سفينة مع نصراني، فلما بسط سفرته سأل السرجي مساعدته ففعل. ولما فرغا أحضر شرابه فحكى لونه عين الديك، وريحه فأرة[٨٤] المسك.

وأراد السرجي أن يجد رخصة فقال: ماهذه؟.

وتوهم النصراني لمراده فقال: خمر اشتراها غلامي من يهودي.

فقال: نحن أصحاب الحديث نكذب سفيان بن عيينه ويزيد بن هارون، أفنصدق نصرانياً عن غلام يهودي.

والله ماأشربها إلاّ لضعف الإسناد، ومدَّ يده إلى الكأس وشربها».

وكتب ابن حجة الحموي يقول[٨٥]:

«قيل إن حامداً بن العباس سأل علياً بن عيسى في ديوان الوزارة، مادواء الخمار؟ وكان قد علق به.

فأعرض عنه وقال: ماأنا وهذه المسألة.

فخجل حامد منه والتفت إلى قاضي القضاة أبي عمر فسأله عن ذلك.

---

(٨٢) ـ مطالع البدور في منازل السرور: علاء الدين الغزولي، الجزء الأول، الصفحة: ١٣٩

(٨٣) ـ كتاب خاص الخاص: لأبي منصور الثعالبي، قدم له حسن الأمين، الصفحة: ٦١

(٨٤) ـ فأرة المسك، نافجة المسك، بمعنى وعاؤه.

(٨٥) ـ ثمرات الأوراق في المحاضرات، ابن حجة الحموي، الصفحة: ٣ ومابعدها.

فتنحنح لإصلاح صوته ثم قال: قال الله تعالى: ومآآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا. وقال النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها. والأعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية حيث قال:

وكأسٍ شربت على لذةٍ وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس في الإسلام فقال:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فاصفر حينئذ وجه حامد وقال لابن عيسى: ماضرك يابارد أن تجيب ببعض ما أجاب به مولانا قاضي القضاة، وقد استظهر في جواب المسألة بقول الله تعالى أولاً، ثم بقول النبي صلى الله عليه وسلم ثانياً، وأدى المعنى وخرج من العهدة».

الفصل الخامس

ظاهرة انتشار الحانات ومجالس الشراب في المجتمع العربي الإسلامي

١ ـ سيرورة مجالس الشراب

أما عن ظاهرة انتشار الحانات وسيرورة مجالس شراب الراح الفواحة العرف، الممزوجة والصِرف ومارافقها من شدو ورقص ومجانة ومفاكهة ومقارضة في المجتمع العربي الإسلامي والعباسي منه بشكل خاص، فحدِّث ولاحرج على الرغم مما فرضته التعاليم الدينية من قيود على شرب الخمرة وعلى المتاجرين بها من قصاص.

قال ابن المعتز يصف مجالس الشرب في الحانات[1]:

أمكنتُ عاذلتي من صمتِ أباءِ ... مازاده النهيُ شيئاً غير إغراء[2]

أين التورعُ من قلب يهيمُ إلى ... حانات لهوٍ غدا بالعود والناءِ

وصوتِ فتّانة التغريد ناظرةٍ ... بعين ظبي تُريد النومَ حوراءِ

جرّت ذيول الثياب البيض حين مشت ... كالشمس مسبلة أذيال لألاءِ

وقرع ناقوس ديري على شَرفٍ ... مُسَبحٍ في سواد الليل دعّاءِ[3]

(١) ـ ديوان ابن المعتز. شرح وإشراف محي الدين الخياط، الصفحة:٢٠٣

(٢) ـ الأَباء: من الإباء وهو الامتناع. إغراء: توليع.

(٣) ـ الشَرف: المرتفع من الأرض.

وكأس حمرِّية شكَّت بمبزلها أحشاء مُشعلةٍ بالقار جوفاءِ
ترموا الظلال بأغصانٍ مهدلةٍ سودُ العناقيد في خضراء لفَّاءِ
أجرى الفراتُ إليها من سلاسله نهراً تمشى على جرعاءِ ميثاءِ(٤)

وانتقلت مجالس الشراب أو مايُسمى بالحانات (الخمارات) من العصر الجاهلي إلى العهد الأموي فالعصور العباسية سليمة معافاة مع توسع في الخدمة وتعديل بالمفهوم وسيرورة في الانتشار، وشقت طريقها في السر والعلن، وعززت وجودها بفضل جموع عشاقها ومدنفي رحيقها من كل الفئات والطبقات الاجتماعية وبشكل خاص الشعراء والأدباء وأهل الرأي والمعرفة والمترفين والأعيان والقواد وبعض القضاة وغالبية الخلفاء.

يقول ابن أرطاة(٥):

---

(٤) ـ الجرعاء: الرملة اللينة. الميثاء: الأرض السهلة.

(٥) ـ ابن أرطاة: اسمه عبد الرحمن بن أرطاة، وقيل عبد الرحمن بن سيحان بن أرطاة. شاعر إسلامي مُقل من الفحول المشهورين. كان يقول في الشراب والغزل والفخر، وهو أحد المعاقرين للخمرة والمحدودين فيها. وقصة حده على الشراب ثم إبطال الحدَّ عنه مشهورة رواها أبو الفرج في أغانيه. قال: «أن مروان بن الحكم قد حدَّه على الشراب عندما كان أميراً على ولاية الحرمين الشريفين أيام معاوية بن أبي سفيان فضربه ثمانين سوطاً على رؤوس الناس. ولما كان عبد الرحمن حليفاً لأبي سفيان بن حرب كتب إلى معاوية يشكوه. فكتب إليه معاوية: أما بعد فإنك ضربت عبد الرحمن ثمانين على رؤوس الناس في نبيذ أهل الشام الذي يستعملونه وليس بحرام. وإنما ضربته حيث كان حلفه إلى أبي سفيان بن حرب. وأيم الله لو كان حليفاً للحكم ماضربته. فأبطل عنه الحد قبل أن أضرب من أخذ معه أخاك عبد الرحمن بن الحكم ـ وكان عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان يشرب مع ابن سيحان ـ فقال مروان لابنه عبد الملك: ماترى؟. قال: أرى والله ألاَّ تفعل، قال: ويحك أنا أعلم بعزمات معاوية منك. فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنا كنا ضربنا ابن سيحان بشهادة رجل من الحرس، ووجدناه غير عدل ولارضا، فاشهدوا أني قد أبطلت ذلك الحدَّ عنه» عن كتاب الأغاني، المجلد الثاني، الصفحة: ٢٥٠ وما بعدها.

لايعدمني نديمي ماجداً أنفاً لاقائلاً خالطاً زوراً ببهتان

أغَرٌّ راووقه ملآنٌ صافيةً تنفي القذى عن جبين غير خزيان[٦]

أُمسي أُعاطيه كأساً لذٌّ مشربُها كالمسك خُفَّتْ بنسرين وريحان

سبيئةً من قرى بيروت صافيةً عذراءُ أو سبيت من أرض بيسان[٧]

إنَّا لنشربُها حتى تميل بنا كما تمايل وسنانٌ بوسنانِ[٨]

٢ ـ الحانة في العصر الجاهلي

ومن يقرأ دواوين الشعراء بشكل عام والخمريين منهم بشكل خاص، يلحظ إغراق ظاهرة انتشار الحانات ومجالس الشراب والغناء في القدم. فلا تخلو قصيدة جاهلية من ذكر الخمرة أو من وصف مجالسها

قال طرفةُ بن العبد[٩] يصف مجلس شراب[١٠]:

---

(٦) ـ الراووق: ناجود الشراب الذي يروَّق فيه فيصفى. والشراب يتروق من غير عصرٍ.

(٧) ـ سبيئة: بمعنى محمولة. بيسان: مدينة في فلسطين يُنسب إليها الخمر الجيد.

(٨) ـ كتاب الأغاني: مصدر سابق المجلد الثاني، الصفحة: ٢٦٠

(٩) ـ طَرفَة بن العبد: شاعر جاهلي ولد في البحرين عام ٥٤٣ ميلادية، ونشأ يتيماً من أبيه. كفله أعمامه فقيل أنهم اضطهدوه، فاندفع في حياة الفروسية واللهو والمتع متحللاً بفطرته من التقاليد الإجتماعية. فطرده قومه فجال في البلاد حتى وصل إلى بلاط المناذرة. يمكن اعتبار طرفة أحد الشعراء الوجوديين الملحميين الكبار حيث استطاع أن يقيم إلى حدما مذهباً وجودياً عندما لخص بوعي جاد متوتر موقفه الذاتي من الحياة والوجود من خلال تعبيره عن حياته ومعايشته نزواته وأفكاره بصورة صاخبة متأججة بالنزوع إلى الحرية وتحقيق الشخصية الذاتية بكل انفعالاتها الأصلية وتحدياتها لحتميات العالم الخارجي. قتل عام ٥٦٩ للميلاد من قبل عامل البحرين بناء على أمر من الملك عمرو بن هند، فقضى وهو دون الثلاثين من عمره.

(١٠) ـ موسوعة الشعر العربي العصر الجاهلي: مطاع الصفدي، إيليا حاوي، المجلد الثاني، الصفحة: ٤٠٠ ومابعدها.

ندامای بیضٌ کالنجوم وقینةٌ	تروح علینا بین بُردٍ ومجسد[11]
رحیبٌ قُطابُ الجیب منها رقیقةٌ	بَجسّ الندامی بضةُ المتجرد[12]
إذا نحن قلنا أسمعینا انبرت لنا	علی رسلها مطروفة لم تشدد[13]
إذا رجّعَتْ في صوتها خِلتُ صوتها	تجاوب آظآر علی رُبع ردي[14]
ومازال تشرابي الخمور ولذتي	وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي[15]

لقد أفاض الشعراء الجاهليون في وصف مجالس الأنس والعبث التي كانت ترافق تشراب الراح وروّاد الحانات. وتفننوا في وصف الخمرة وتعداد صفاتها. ثم تجاوزوها إلى السقاة والساقيات فاستوفوا أوصافهم وأفعالهم.

وللأسود بن يعفر النهشلي[16] قصيدة يصف هذه المجالس وماكان يدور فيها

---

(١١) ـ نداماي: جمع النديم. المجسد الثوب المصبوغ بالزعفران. يقول: نداماي أحرار كرام تتلألأ ألوانهم وتشرق وجوههم، ومغنيه تأتينا رداحاً لابسة برداً أو ثوباً مصبوغاً بالزعفران.

(١٢) ـ قطاب الجيب: مخرج الرأس أي فتحة الثوب عند العنق، البضاضة: نعومة البدن ورقة الجلد. يقول: هذه المغنية واسعة الجيب لإداخل الندامى أيديهم للمسها. ومايُعرى من جسدها ناعم اللحم رقيق الجلد صافي اللون.

(١٣) ـ اسمعينا: غنينا. انبرت: أخذت. على رسلها: تؤدتها ووقارها. المطروفة: فاترة الطرف. يقول: إذا سألناها الغناء غنت متئدة في غناء هادىء لاشدة فيه ولاجهد. وهذه أوصاف ذوقية للنغم وطريقة أدائه.

(١٤) ـ الترجيع: ترديد الصوت وتغريده. آظآر: جمع ظئير، العطوفة على وليد غيرها. الرُّبع: من ولد الإبل، ماولد في أول النتاج. يقول: إذا طرَّبت في صوتها وردَّدت نغمتها، حسبت صوتها أصوات نوق تصيح عند خوارها على وليد هالك. فشبه صوتها في التحزين والترقيق بأصوات النوادب على صبي هالك.

(١٥) ـ التشراب: الشراب الكثير. الطريف: المال الحديث. التليد: المال الموروث. يقول: دأب على شرب الخمرة ومعاقرة أنواع اللذاذات وإنفاق أمواله عليها دون حساب بدلاً من أن يحرص عليها كما يفعل سواه.

(١٦) ـ الأسود بن يعفر النهشلي: ويُطلق عليه أعشى بني نهشل ويكنى أبا ←

من لهو وشرب وعبث وشتى أنواع اللذاذات.

قال ابن يعفر[١٧]:

ولقد لهوتُ ولِلشباب لذاذةٌ	بُسلافةٍ مُزجت بماء غوادي[١٨]
من خمر ذي نَطفٍ أغنَّ مُنطَّق	وافى بها لدارهم الأسجادِ[١٩]
يسعى بها ذو تومتين مشمِّرٌ	قنأت أنامله من الفرصاد[٢٠]
والبيض تمشي كالبدور وكالدُمى	ونواعم يمشين بالأرفادِ[٢١]
يَنطِقن معروفاً وهُنَّ نواعمٌ	بيض الوجوه رقيقة الأكبادِ[٢٢]
يَنطِقن مخفوض الحديث تهامساً	فبلغن ماحاولن غير تنادي[٢٣]

← الجرّاح. شاعر جاهلي مقدم فصيح فحلٌ وصاف للخمرة. كان رجل لهو ومجون وفروسية. نادم النعمان بن المنذر ولما أسنَّ كف بصره. لم تعرف سنة ولادته وتوفي على الأغلب عام ٦٠٠ للميلاد.

(١٧) - موسوعة الشعر العربي العصر الجاهلي. مصدر سابق، المجلد الثالث، الصفحة: ٢٦٥

(١٨) - يقول: لقد لهوت في عهد الصبا وشربت خمراً معتقة كأنها مزجت بماء السحاب الرطب.

(١٩) - النَطَفْ: القرط. المُنطَّق: غلام عليه نطاق. الأسجاد: الأكاسرة. يقول: إنهم كانوا يحتسون الخمرة التي يديرها عليهم فتاة أو غلام مزين بالأقراط مُدٌّ له بصوته. فيوافونه بدراهمهم الكسروية المزينة بالصور والنقوش.

(٢٠) - التومتان: اللؤلؤتان. قنأت: اشتدت حمرتها. الفرصاد: التوت. يقول إن شدة الحمرة في يديه ناجم عن معالجة الخمرة وهي خمرة تشبه حمرة التوت.

(٢١) - الدمى: جمع دمية، الصورة المنقوشة على الرخام. الأرفاد: جمع رفد: القدح الضخم. يقول: إن الغواني يمشين كالبدور يحملن أقداح الخمر الكبيرة للشاربين بيض الوجوه يشبهن الصور المنقوشة على الرخام الأبيض.

(٢٢) - النواعم: جمع ناعمة، المترفة الحسنة العيش والغذاء.

(٢٣) - يقول: انهن يبلغن من الرجال ماأردن بأيسر سعي من غير جهد أو تعب.

وفي قصيدة أخرى، يصفُ أعشى قيس[٢٤] مجلس الشراب والمغني الذي يثني كفه على الوتر، والندامى المترفين المتأنقين كمصابيح الدجى، نخبة أكفاء رزناء في مجلسهم لايأبهون لتأنيب من يصدهم عن الخمر التي صرعتهم فتمددوا منبطحين كالحبال من شدة الشرب. فيهم الذي تلاشى وفيهم الذي يبدو كالكسيح وماهو بكسيح لأن قدمه لاتعينه على القيام من شدة السكر.

قال ميمون بن قيس[٢٥]:

ولقد أغدو على نُدمانها	وغَدا عِندي عليها واصْطَبَحْ[٢٦]
ومُغنٍ كلما قيل له	أَسْمِعِ الشَرْبَ تغنى وصَدَحْ[٢٧]
وثنى الكفَّ على ذي عتبٍ	يَصِلُ الصوت بذي زيرٍ أبَحّْ[٢٨]
في شباب كمصابيح الدُجى	ظاهرُ النعمةِ فيهم والفَرَحْ
رُجُحُ الأحلام في مجلسهم	كُلَّما كلبٌ من الناس نَبَحْ

(٢٤) ـ أعشى قيس: ميمون بن قيس بن جندل. من شعراء المعلقات. ولقب بالأعشى لضعف بصره. ويقال انه أول من سأل في شعره، فكان أول شحاذ عن طريق الشعر عُرف في الأدب العربي. وسمى بصناجة العرب لكثرة مراودته لمجالس الشراب والطرب وتغنيه في المرأة والخمرة والمتعة. أدرك الرسول ومدحه بقصيدة مشهورة شكك فيها بعض المعاصرين. مات قبل أن يسلم بسبب تحفظه على تحريم الخمرة. لم تعرف سنة ميلاده ويعتقد أنه توفي عام ٦٢٩ ميلادية. وكان قبره قبلة الفتيان الذين كانوا يشربون عنده ويصبون عليه من أقداحهم.

(٢٥) ـ المختار من الشعر الجاهلي: شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني، المجلد الثاني الصفحة: ٢٤٥

(٢٦) ـ أغدو: أذهب مبكراً في الصباح. الندمان: النديم. أصطبح: أشرب خمر الصباح.

(٢٧) ـ صدح: رفع صوته بالغناء.

(٢٨) ـ العتب: العيدان على وجه العود منها تمد الأوتار إلى طرف العود الآخر. الزير: الرقيق من الأوتار وأحدُّها صوتاً. الأبح: الخشن الصوت.

فترى الشرب نشاوى كُلُّهم ... مِثلَ مامُدَّت نُصاحاتُ الرُبح[٢٩]
بين مغلوبٍ تليلٍ خدُّهُ ... وخذولِ الرِّجل من غير كسَحْ[٣٠]

من الأمثلة السابقة يتبين لنا أن العزف والغناء وتثني القدود رافقوا مجالس تشراب الخمور. فلا يكاد يخلو مجلس شراب من قينة أو عازف. غير أن الشعراء الجاهليين لم يصوروا في قصائدهم المكان الذي يلتئم فيه شمل مجلس الخمرة، فلم نُبصر في شعرهم موقعاً أو شكلاً ما لما تعنيه كلمة خمارة. ولم يصوروا لنا كيف تبدو حانة ذلك الزمان ومما تتألف؟. وماذا تحتوي عليه من رياش؟ وهل هي تشبه الخمارات المعاصرة في المدن العامرة من حيث الأضواء والإعلان عن نفسها وتصدرها الشوارع وتوثبها أمام الناس؟ إذ تبدو حسنة التنسيق والتنظيم بفاخر أنواع المشاريب ومريح الفرش والرياش وشهي المقبلات والنقول، أم أنها على غير ذلك؟.

٣ ـ ما هي الخمّارة

في الواقع إن معالم هذه الخمارات على الرغم من وفرة انتشارها وتنوع مواقعها وتعدد أسمائها بقيت مبهمة الخطوط مبرقعة الوجه حتى النصف الثاني من العصر الذهبي للدولة العباسية[٣١]. عندما قام الواثق آخر خليفة من خلفاء ماسُمي بالعصر الذهبي العباسي بإنشاء خمارتين إحداهما في دار الحرم والأخرى على الشط ببغداد. لقد كان الواثق مغرماً بجو الخمارات وماقيل فيها وماغُني به في ذكرها، ولما كان مقامه يحول دون تردده عليها، أمر كما ذكرنا

(٢٩) ـ الشرب: الشاربون. نشاوى: سكارى. النصاحات: حبال يجعل لها حلق وتنصب فتصاد بها القرود واحدتها نِصاحة بكسر النون. الرُبَح: بضم أوله وفتح ثانيه: القرود.

(٣٠) ـ مغلوب: غلبه السكر. تليل: صريع. خذول الرِجل: خذلته رجله لم تطاوعه حين يريد السير من السكر لامن مرض أصابها.

(٣١) ـ امتد العصر الذهبي للدولة العباسية من ١٣٢ للهجرة/٧٥٠ ميلادية إلى عام ٢٣٢ للهجرة/٨٤٧ ميلادية.

بإنشاء هاتين الحانتين وقامت الجواري بالتخديم في حانة الحرم والغلمان في حانة الشط، ونقل إليهما طرائف المشروبات وفرشها فرش الخلافة، وعلق عليها الستور، وجعل فيهما الأواني المذهبة والدنان المدهونة... وأمر بإحضار المغنين، ولم يدع أحداً يصلح من ضُرَّاب الطنابير إلاَّ أحضره. وكان يؤتى بنماذج المشروبات فيذوقها، ويعرض ذلك على الجلساء، فيختار كل منهم مايشتهيه، ويجيء إلى الخمار ويكتال منه بمكيال في إنائه، كما يفعل في الحانات العامة، ويعود إلى موضعه فيجلس فيه. وأمر أن يُجعل على رؤوس الحضور أكاليل الآس وماأشبهه من الرياحين...(٣٢).

أجل لقد بقيت الخمارات حتى ذلك التاريخ متواضعة من حيث البناء والرياش وجزءٌ من منزل صاحبها في أغلب الأحيان. يستر أمره فيه عندما تعنف المطاردة وتشتد المداهمة من قبل شُرَطِ الوالي أو الأمير. وكانت الخمارة تتألف من غرفة أو بعض غرفة، ولاتحتوي إلاَّ على مايحتاج إليه الخمار في صنعته والشارب في تعاطيه. وهذه الأمور لاتتعدى في العادة البسط والنمارق التي يتمدد عليها الشاربون وفي أيديهم كؤوسهم المترعة، وتشمل بالطبع القناني والطاسات والدوارق والكؤوس والبُزل والأعواد والطنابير والخوابي والدنان التي تُحبس فيها الخمرة بعد أن يُختم فوها بالطين، والأباريق التي تفرغ فيها بعد أن توزن للشاربين. ولم يكن من عادة اصحاب الخمارات أن يتناولوا من الزُبن ثمن كل قدح على حده، وإنما يبيعونهم إبريقاً مملوءاً يتسلمه الساقي الذي عُهدت إليه مهمة متابعة سقيهم. فإذا مافرغ الإبريق قبضوا ثمن الثاني وأترعوه خمراً وهكذا دواليك.

وكانت الأباريق والكؤوس المختلفة الأنواع تُصنع عادة من الفخار والحديد أما بالنسبة إلى الخمارات التي يتردد عليها الذوات وارستقراطية القوم، أو التي

---

(٣٢) ـ الجواري: الدكتور جبور عبد النور ـ سلسلة اقرأ العدد: ٥٩، الصفحة:٤٩ ومابعدها.

تفرش في القصور فكان يتوافر فيها الكؤوس والأباريق المصنوعة من الفضة والذهب والموشاة بالرسوم والتصاوير التي ترمز إلى مشاهد عديدة من معارك حربية تعود إلى العهدين الفارسي والبيزنطي.

قال أبو نواس(٣٣):

فحلَّ بُزالها في قعر كأسٍ ... محفرة الجوانب والقرارِ(٣٤)
مصورة بصورة جند كسرى ... وكسرى في قرار الطُرجَهارِ(٣٥)
وجلُّ الجند تحت ركاب كسرى ... بأعمدة وأقبية قصارِ(٣٦)

وقال الشاعر(٣٧):

فدعا بالبزال ثم وجاها ... فجرت كالعقيق والجلنارِ
في أباريق من لجين حسان ... كظباء سكن عرض قفارِ
أوكراك ذعرن من صوت صقر ... مسرعات شواخص الأبصارِ

ولما كان لايقدم في الخمارات العامة المقبلات والمشهيات إلاَّ فيما ندر فقد انعدمت فيها الموائد والكراسي. وأشهر ماشاع من نقول* كانوا يتداولونه بعد ارتشاف الكؤوس ماعُرف بنقول أبي نواس.

قال الحسن(٣٨):

ماليَ في الناس كُلِّهمْ مثلُ ... مائي عُقارٌ ونُقلي القُبلُ

---

(٣٣) - ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، الصفحة:٧٧

(٣٤) - بزالها: بزل الشراب صفاه، فالبزال المصفى يستخدم لتصفية الشراب. محفرة: محفورة.

(٣٥) - الطُرجهار: وعاء يُشبه الكأس يُشرب فيه

(٣٦) - أقبية: جمع قباء، نوع من الثياب.

(٣٧) - مسالك الأبصار الجزء الأول، الصفحة: ٣٩٦

(*) نُقول مفردها نُقل: ما يُتنقّل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.

(٣٨) - ديوان أبي نواس: مصدر سابق، الصفحة:٣٧١

وعلى الرغم من إبداع الذميين من يهود ونصارى في إدارة هٰذه الخمارات، حيث لاتكتمل شروط احتساء الخمرة إلا إذا كانت بإشراف ذمي نصراني أو يهودي بنوع خاص ويتمنطق بالزنار على خصره، فإن الواقع لاينفي احتراف بعض المسلمين لهذه المهنة.

قال الحسن[٣٩]:

وفتيانِ صدقٍ قد صرفُت مطيهم	إلى بيت خَمَّار نزلنا به ظُهرا
فلما حكى الزنَّارُ أن ليس مسلماً	ظننا به خيراً: فظنَّ بنا شرا[٤٠]
فقلنا:«على دين المسيح بن مريم؟»	فأعرض مُزْوَرّاً، وقال لنا كُفرا[٤١]
ولكن يهوديّ يحبك ظاهراً	ويُضمِرُ في المكنون منه لك الخترا[٤٢]
فقلنا له: ما الاسم قال سموأل	على أنني أكنى بعمروِ ولاعَمرا[٤٣]
وماشرفتني كنيةٌ عربيةٌ	ولاأكسبتني لاسناءً ولافخرا[٤٤]
ولكنها خَفَّتْ وقَلَّتْ حروفُها	وليست كأخرى إنما خلقت وقرا[٤٥]
فقلنا له عُجباً بظرف لسانه	أجدت أبا عمرو فجوِّد لنا الخمرا
فجاء بها زيتيةً ذهبيةً	فلم نستطع دون السجود لها صبرا

بشكل عام كانت هذه الخمارات متوارية لاتُعلن عن نفسها في كثير أو قليل خوفاً من رجال الشرطة الذين كانوا يتعقبون أصحابها ويتبعونهم ليكتشفوا

---

(٣٩) ـ المصدر السابق، الصفحة: ٦١

(٤٠) ـ الزنار: مايُشد على الوسط وهو خاص بأهل الذمة في الإسلام يتميزون به.

(٤١) ـ مزورا: من ازْوَرَّ انحرف. وقال لنا كفرا: رواية الصولي والنسخة الألمانية ورواية حمزة الأصفهاني: وقال لنا هجرا: والهجر القبيح من الكلام.

(٤٢) ـ الختر: الغدر. ورواية حمزة: الغدر.

(٤٣) ـ أكنى بعمر: أي يقال له أبو عمرو. ولاعمرو: أي لاولد له بهذا الإسم، إشارة إلى أنه لما يزل صبيا.

(٤٤) ـ السناء: الرفعة ورواية حمزة: لاثناء ولافخرا.

(٤٥) ـ الوقر: الحمل الثقيل.

ماأستتر من أمرهم، ويفرضون عليهم العقاب المناسب جزاء مخالفتهم الشرع، وذلك بإقفال الخمارة وإهراق الخمور المعتقة بالطرقات وربما بجلد صاحبها وسجنه أحياناً.

غير أن القائمين على إدارة هذه الخمارات استطاعوا أن يرتبوا أمورهم برشوة أصحاب النفوذ من المسؤولين، وبالتفاهم مع رجال الشرطة بدفع المعلوم الذي يحميهم ويحمي نزلاءهم وروادهم ويكف الأذى عنهم. لأن هذه الحانات على اختلاف أنواعها ومواقعها كانت تدر على أصحابها المال الوفير.

كتب الدكتور عبد النور يقول(٤٦):

«.. ان خادم المتوكل انصرف إلى مثل هذه التجارة الرابحة بعد أن تبين فيها الوسيلة الفضلى لاستدرار الأموال. فاتخذ مثل هذه الحانة الأنيقة الظاهرة مقراً للارستقراطيين من الشاربين والمجان وأصحاب الكيف من الأثرياء والقواد وأبناء الأسر المشهورة. فلا يُسمح لأحد من العامة الوضعاء بالدخول إليها. وحسن فيها أدوات الشراب واتخذ لها خماراً يهودياً لبقاً حاذقاً، وحال بنفوذه وماله دون عيون الشرطة».

ومن طريف مايروى عن عشاق الخمرة والخمارين وعلاقتهم مع رجال الشرطة في العصر الأموي مارواه أبو الفرج الأصبهاني في أغانيه، اذ قال(٤٧):

«..قال أبو أيوب: وحُدِّثتُ أن الأقيشر شرب يوماً في بيت خمار بالحيرة فجاء شرطيٌ من شرط الأمير ليدخل عليهم، فغلق البابُ دونه. فناداه الشرطي: اسقني نبيذاً وأنت آمن. فقال: والله ما آمنك، ولكن هذا ثقب في الباب

(٤٦) ـ الجواري: الدكتور جبور عبد النور، سلسلة إقرأ مصدر سابق الصفحة: ٤٩ نقلاً عن مسالك الأبصار، الجزء الأول، الصفحة، ٣٩٥

(٤٧) ـ كتاب الأغاني: مصدر سابق، المجلد الحادي عشر، الصفحة:٢٦٤

فاجلس عنده وأنا أسقيك منه. ثم وضع له أنبوباً من قصب في الثقب وصبَّ فيه نبيذاً من داخل والشرطيُّ يشرب من خارج الباب حتى سكر.

فقال الأقيشر:

سأل الشرطيُّ أن نَسقيَهُ	فسقيناه بأنبوب القصب
إنما نشرب من أموالنا	فسلوا الشرطيَّ ماهذا الغضب

وكانت معظم هذه الحانات تدار من قبل النساء اللواتي ابتكرن أساليب ترد عنهن كيد الشرطة وذلك بأن: «جعلن لأبواب منازلهن الوسيعة طاقات صغيرة في مستوى الوجه يفتحنها ويوصوصن منها لمراقبة الزقاق والتعرف على الطارق قبل ولوجه العتبة. حتى إذا اطمأنن إليه فتحن الباب على مصراعيه ورحبن به كما يليق بالصديق، وإذا خشين سعاية أو أنكرن الزيَّ أوصدن الباب جيداً بالمزلاج وتحصَّنَّ وراءه وأنكرن أنَّ لديهن خمراً ومتعةً»[٤٨].

قال أبو نواس[٤٩]:

وليلة دَجْنٍ قد سريتُ بفتية	تنازعُها نحو المُدام قلوبُ[٥٠]
إلى بيت خمار ودون محلّه	قصور منيفاتٌ لنا ودروبُ
ففزَّع من ادلاجنا بعد هجعةٍ	وليس سوى ذي الكبرياء رقيبُ[٥١]
تناوم خوفاً أن تكون سعايةً	وعاوده بعد الرقاد وجيب[٥٢]
ولما دعونا باسمه طار ذعرُهُ	وأيقن أنَّ الرحل منه خصيب
وقال: ادخلوا حُييتُمُ من عصابةٍ	فمنزلكم سهلٌ لديَّ رحيبُ

(٤٨) ـ الجواري: مصدر سابق الصفحة ٤٤ ومابعدها.

(٤٩) ـ ديوان أبي نُواس: مصدر سابق، الصفحة: ١١٠

(٥٠) ـ الدجن الليلة المظلمة الغائمة. تنازعها: تغالبها.

(٥١) ـ إدلاج: السير من أول الليل. ذي كبرياء. المقصود سبحانه وتعالى. رقيب: حارس.

(٥٢) ـ السعاية: النميمة الوشاية. الوجيب: خفقان القلب.

وأتقن صاحب الحانة دوره وعرف واجبه فأمن جميع اللوازم والاحتياطات التي ترغب الزُبن وطلاب المتعة وتشدهم إلى خمارته. وذلك بإظهار الطاعة وتلبية الحاجة لإرضائهم وتأمين سبل الراحة لهم، وتقديم أجود أنواع الخمور بطعومها وشمومها، وفي انتقاء البارعين من السقاة الذين يقدرون عقلية الحضور ويفهمون أهواءهم ومآربهم وأذواقهم. وفي اختيار الفاتن من الجواري والقيان اللواتي يدرن بالخمرة على الشاربين ويضفين بجمالهن وسحرهن النشوة في النفوس والإثارة في الجوارح، ويعملن على تسهيل وسائل المتعة وضروب اللذة وجمع شمل الأحبة.

وكانت الدعارة غالباً ماتنحصر فقط في الزُبن الذين يترددون على الحانة من عشاق الخمرة والمجان وطلاب اللذة بعد أن يتعارفوا على رموز خاصةٍ يميز بها الخمار الزبون طالب المتعة من الطارق الغريب أو الشرطي المداهم.

قال أبو نواس(٥٣):

وأشمط ربُّ حانوتٍ تراهُ	لنفخ الزق مسودَّ السبالِ(٥٤)
دعوتُ، وقد تخوَّنه نُعاسٌ	فوسَّدَه براحته الشمالِ
فقام لدعوتي فزعاً مروعاً	وأسرع نحو اشعال الذُّبالِ(٥٥)
فلما بينتني النارُ حيَّ	تحية وامقٍ لطف السؤالِ(٥٦)
عددتُ بكفه ألفاً لشهرٍ	بلا شرط المُقيل ولاالمقالِ(٥٧)
فظِلتُ لدى دساكره عروساً	بعذراوين من خمرٍ وآلِ(٥٨)

---

(٥٣) ـ ديوان أبي نُواس: مصدر سابق، الصفحة:٦٢

(٥٤) ـ أشمط: عجوز. السبال: ماعَليَ الشارب من الشعر ومقدم اللحية.

(٥٥) ـ الذبال: فتيلة المسرجة.

(٥٦) ـ بينتني: كشفتني وأظهرتني. وامق: محب.

(٥٧) ـ ألفاً لشهر: يريد ألف دينار لإقامة شهر. المقيل والمُقال: من أقال البيع، فسخه.

(٥٨) ـ الدساكر: بيوت للشراب واللهو. عذراوين: خمر طال احتجابها وفتاة في مقتبل العمر.

٤ ــ الخمّارات الريفيه.

وكثيراً ماكانت تنتقل مجالس الخمرة بشُرابها وراحها، بكؤوسها وأباريقها، بدوارقها ودنانها، بأنوارها وريحانها، بصنجها ومزهرها، بلهوها وترفها، بإثمها ومجونها، إلى ضواحي المدن المختلفة والمنتزهات والرياض بين البساتين والحدائق، وضفاف الأنهار والمواقع المحفوفة بالأشجار والكروم والمعاصر. إذ تحولت هذه البقاع إلى حانات عامرة بشرب الخندريس، وإلى مسارح للقصف ومرابع للمتعة. وقد أطلق على هذا النوع من الخمارات بالخمارات الريفية.

وكان الشعراء وعشاق الخمرة واللهو يقصدون هذه الحانات ويقيمون فيها أياماً ولياليَ، مثل حانة بستان صباح التي وصفها مطيعُ بن إياس(٥٩) في بعض شعره.

قال مطيع(٦٠):

كم ليلةٍ بالكرخ قد بِتُّها ... جذلان في بستان صَبَّاحِ
في مجلس تنفحُ أرواحُهُ ... ياطيبها من ريح أرواحِ
يُديرُ كأساً إذا مادنتْ ... صُفَّت بأكواب وأقداحِ
في فتية بيضٍ بهاليل ما ... إن لهم في الناس من لاحِ
لم يَهْنني ذاك لفقد امرىءٍ ... أبيض مثل البدر وضّاحِ
كأنما يُشرق من وجهه ... إذا بدا لي ضوء مصباحِ

وكانت هذه الخمارات وسيعة تتألف من غُرف عديدة، ويقدم فيها مايقدم في

---

(٥٩) ـ مطيع ابن إياس الكناني: ويكنى أبا سلمى مولده ومنشؤه الكوفة. كان أبوه من أهل فلسطين، جاء مع الجند الذين أمدَّ بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي في قتاله مع ابن الزبير وابن الأشعث. شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان ظريفاً خليعاً ماجناً، حلو المعشر مليح النادرة إذا حضر ملك جليسه وإذا غاب عنه شاقه، وإذا عُرف بصحبته أفتضَح به.

(٦٠) ـ كتاب الأغاني: مصدرٌ سابق، المجلد الثالث عشر، الصفحة: ٣٢١

النزل من خدمة ورعاية وشراب وطعام ومتعة. وكانت من أكثر القرى شهرة بهذه الحانات التي طار صيتها وذاع أمرها وأصبحت معروفة مقصودة. مثل حانات منطقة باري(٦١) وبُنّى(٦٢) وكلواذي(٦٣) وقطربُّل(٦٤) وطيرناباذ(٦٥) والقُفص(٦٦) وغيرها...

قال أبو نواس(٦٧):

ياطيبنا بقصور القُفص مشرقة	فيها الدساكر والأنهار تطّردُ
لما أخذنا بها الصهباء صافيةً	كأنها النارُ وسط الكأس تتقدُ
جاءتك من بيت خمار بطينتها	صفراءُ مثل شعاع الشمس ترتعدُ(٦٨)

---

(٦١) - باري: قرية من نواحي بغداد فيها بساتين ومنتزهات وخمارات يقصدها المجان والخلعاء للشراب. عن معجم البلدان، ياقوت الحموي، مجلد أول، الصفحة: ٤٦٦

(٦٢) - بُنّى: قرية على شاطىء دجلة من نواحي بغداد، فيها خمارات وأماكن للنزهة يقصدها المجان.

(٦٣) - كلواذي: أسفل بغداد، وهي مجموعة قرى عامرة بالخمارات والمنتزهات والبساتين.

(٦٤) - قطَربُّل: سبق ذكرها.

(٦٥) - طيرناباذ: من أقدم مدن العرب الجاهلية في العراق. تقع بين الكوفة والقادسية على بعد تسعة كيلومترات من شمال شرقي النجف. محفوفة بالنخيل والكروم والشجر والحانات والمعاصر. وكانت إحدى البقاع المقصودة والنزه الموصوفة ولم يبق من رسومها إلاّ قباب خراب وحجر على قارعة الطريق وقد أطلقوا على حانات طيرناباذ بعد خرابها قباب أبي نواس. عن «أبي نواس بين التخطي والالتزام» على شلق، الصفحة: ٤٥ .

(٦٦) - القُفص: بالضم فالسكون. قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد كانت من مواطن اللهو ومعاهد التنزه ومجالس الفرح. تُنسب إليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة. عن معجم البلدان، ياقوت الحموي. المجلد الرابع، الصفحة: ١٥٠ .

(٦٧) - ديوان أبي نواس: مصدر سابق، الصفحة: ٧٩ ومابعدها.

(٦٨) - بطينها: أي بختمها لم يمسها أحد. ترتعد: تضطرب.

فقام كالغصن قد شُدَّت مناطقه ... ظبيٌ يكاد من التهييف ينعقدُ[٦٩]
فاستلها من فم الإبريق فانبعثت ... مثل اللسان جرى واستمسك الجسدُ[٧٠]
فلم نزل في صباح السبت نأخذها ... والليل يجمعنا حتى بدا الأحدُ
ثم ابتدأنا الطِلى باللهو من أَمَمٍ ... في نعمة غاب عنها الضيق والنكدُ[٧١]
حتى بدتْ غُرة الاثنين واضحةً ... والسَّعدُ معترض والطالع الأسدُ
وفي الثلاثاء أعملنا المطيَّ بها ... صهباءُ ماقرَّعتها بالمزاج يَدُ[٧٢]
والأربعاء كسرنا حَدَّ سورتها ... والكأس يضحك في تيجانها الزبَدُ[٧٣]
ثم الخميس وصلناه بليلته ... قصفاً وتمَّ لنا بالجمعة العددُ
ياحُسننا وبحارُ القصف تغمرنا ... في لُجَّة الليل والأوتار تغتردُ
في مجلس حوله الأشجار مُحدقةٌ ... وفي جوانبه الأنهار تطَّرِدُ
لانستخف بساقينا لعزَّته ... ولايَرُد عليه حكمه أحدُ

وفي خمارات طيرناباذ قال أبو نواس[٧٤]:

قالوا تنسك بعد الحج قلت لهم ... أرجو الإله وأخشى طيرناباذا
أخشى قُضيب كرم أن ينازعني ... فَضْلَ الخُطام وإن أسرعت اغذاذا[٧٥]
فإن سلمتُ - وما قلبي على ثقةٍ ... من السلامة - لم أسلم ببغذاذا
ماأبعد النُسك عن قلب تقسَّمه ... قُطْربُلٌ فقرى بُنَّى فكلواذا
هناك لاتتخطَّى الإذن لائمةٌ ... ولاترى قائلاً من ذا ولا ماذا

---

(٦٩) - مناطقه: ثوب يُشدُّ على الوسط ويرخى أعلاه على أسفله. التهييف: ضمور البطن ورقة الخاصرة.

(٧٠) - استلها: انتزعها برفق. يُشبه الخمر وهي تنزل من فم الإبريق باللسان يتحرك والجسم ثابت متماسك.

(٧١) - الطِلى: العصير المطبوخ كالنبيذ. من أمم: من قريب. النكد: الغم الشؤم.

(٧٢) - أعملنا المطِّي: جعلناها تسير.

(٧٣) - سورتها: حدة الخمرة.

(٧٤) - ديوان أبي نواس: مصدر سابق، الصفحة: ٢٦ ومابعدها.

(٧٥) فضل الخُطام: مافضل منه. والخُطام للبعير كالعنان للفرس: اغذاذا: إسراعا.

وفي مرابع حانات طيرناباذا حصراً يقول[٧٦]:

فـتـكـتني طـيـرنـابـاذ	وقـد كـنـتُ تـقـيًّـا
إذ تـركـت الماء فـيـهـا	وشـربـتُ الخسـرويًّـا[٧٧]
أرض كـرم تجلبُ الدهـ	ـر شـرابـاً سـابـريـا[٧٨]
وغـزال زان بـالـقـامـة	رِدفـاً بـربـريًّـا
قـاده إبـلـيـس طـوعـاً	بـعـدمـا كـان عـصـيًّـا
فـسـقـيناه عـلـى الـور	د شـرابـاً ذهـبـيـاً
وكـشـفـنـا عـن بـيـاض	الرِدف ثوباً قصبيًّا[٧٩]
فـوجـدنـا خـلـفـه دِعـصـ	ـاً من الثلج نقيا[٨٠]

أما في خمارات قُطْرُبُل فيقول[٨١]:

ومجلس خمار إلى جنب حانةٍ	بقُطربلٍ بين الجنان الحدائق
تجاه ميادينٍ على جنباتها	رياضٌ غدت محفوفة بالشقائق[٨٢]
فقمنا بها في فتيةٍ خضعت لهم	رقابُ صناديد الكُماة البطارق[٨٣]
بمشمولة كالشمس يغشاك نورها	إذا ماتبدت من نواحي المشارق[٨٤]

---

(٧٦) ـ ديوان أبي نُواس، مصدر سابق، الصفحة١٤١

(٧٧) ـ الخسروي: الشراب المنسوب إلى أكاسرة الفرس.

(٧٨) ـ السابري: ثوب من الحرير رقيق لين.

(٧٩) ـ الثوب القصبي: المنسوج بخيوط الذهب.

(٨٠) ـ الدعص: القطعة المستديرة من الرمل. يصف عجيزتها.

(٨١) ـ المصدر السابق، الصفحة: ١٧١ .

(٨٢) ـ الشقائق: أزهار حمر الألوان وتُضاف إلى النعمان. وهي جنس نبات عشبي من فصيلة الحوذانيات أو الشقيقيات. تستعمل هذه التسمية في الشرق الأوسط على عدة زهور ربيعية ذات لون أحمر جميل. مثل الشقَّار الأُحمر، وحوذان الزهارين، والخشخاش المنثور وسواها...

(٨٣) ـ الصناديد: الشجعان. الكماة: الشجعان أيضاً. البطارق: جمع البطريق وهو الرجل المختال المزهو.

(٨٤) ـ المشمولة: الخمر التي عرضت لريح الشمال لتبرد.

لها تاج مرجان وإكليل لؤلؤ وترنيم نشوان وصُفرة عاشق
وتسحب أذيالاً لها بكؤوسها تحارُ لها الأبصار من كل رامِقِ[٨٥]
يدور بها ظبيٌ غريرٌ متوج بتاج من الريحان مَلْك القُراطق[٨٦]
فليس كمثل الغُصن في ثقل ردفه إذا مامشى في مستقيم المناطق[٨٧]
له عِقربا صُدغٍ على ورد خدِّه كأنهما نونان من كف ماشق[٨٨]
فلما جَرَتْ فيه تغنى وقال لي بِسُكرٍ: ألا هات اسقِنا بالدَّوارقِ

وكان ألطف مافي هذه المجالس موحياتها من النغم الحلو الهازج براقص الألحان وأكاليل الياسمين والريحان، والهمس المقرب بين القلوب المتناجية، والبوح الموحي من ألسن الندمان ولحاظ الصبايا الحسان كالنجوم الزاهرة في عشيات نيسان. تدار عليهم الراح المعتقة في كؤوس مذهبة ساطعة وأباريق راكعة مترعة.

قال أبو نواس[٨٩]:

أذاقني الصَدُّ سوءُ تدبيري لأن قصدي بغير تقديري
ذاك لأني فتىً لهجتُ بما يخلُصُ في خالص القواريرِ[٩٠]
من خندريسٍ لجامها خزفٌ وثوبها المستكنُّ من قيرِ[٩١]

---

(٨٥) ـ رامق: ناظر. ويريد بالأذيال التي في الكؤوس، الفقاقيع التي تتصعد عند المزاج متتابعة في حركة كرفرفة الذيول.

(٨٦) ـ القراطق: الملابس الفارسية، مفردها قرطق.

(٨٧) ـ الردف: العَجُز. المناطق: جمع منطقة وهو ثوب يُشدُّ على الوسط ويرخى أعلاه على أسفله.

(٨٨) ـ الصدغ: هو الشعر المعقوف بين العين والأذن ويشبهه بنون الماشق. والماشق هو الكاتب الذي يمشق الحروف أي يمدها في الكتابة.

(٨٩) ـ ديوان أبي نُواس: مصدر سابق، الصفحة: ١٤٦

(٩٠) ـ لهج بالشيء: أُغري به فثابر عليه. يخلص يتبقى من خلاصة. القوارير: زجاجات الخمر

(٩١) ـ الخندريس: من أسماء الخمر. المستكن: المكنون. القير: الزفت. يشير إلى طلاء أواني الخمر بالقار من داخلها.

تُشرق في الكأس من تلألئها بمحكماتٍ من التصاويرِ
في مجلس مشرف على شجرٍ يضحك تفاحه إلى الخيرِ
وطائر واقع على فننٍ تُسعده ضجّةُ العصافيرِ
فلم نزلْ يومنا وليلتنا نقراً على السطح بالطنابيرِ[٩٢]
حتى رأينا السواد منحسراً ودارت الشمسُ في المقاصيرِ[٩٣]
وحين حانت صلاتنا لضُحى قُمنا نصلي بغير تكبير

ونرى أن نقف عند البيت الأخير من المقطوعة السابقة لأبي نواس لنقول:

ان هذه المجالس وماكان يجري فيها من شراب وغناء ورقص ومفاكهة وعبث ومجون إن دلت على شيء فإنما تدل على ظاهرة غريبة قد تدهشنا نحن في هذا العصر ألا وهي: «ظاهرة الإباحة والإسراف في حرية الفكر وكثرة الإزدراء لكل قديم، ديناً كان هذا القديم أم خلقاً أم سياسة أم أدباً»[٩٤].

قد تكون هذه الظاهرة رداً من بعض الوجوه على ظاهرة العَنَت والتابو الفقهي، وحياة التناقض والنفاق الاجتماعي في سيرة الخلفاء والوزراء وعليّة القوم وبعض الفقهاء الذين يحيون حياتين مختلفتين بوجهين متعاكسين. حياة كاذبة للشعب، يحتفظون فيها شكلياً بجلال الدين وشعائره وطقوسه وعظمة الخلافة وقوتها. وحياة لأنفسهم وخلصائهم في القصور ومن وراء الحجب يتركون فيها لأنفسهم حريتها الفطرية، فيشربون ويلهون ويلعبون ويقترفون ضروباً من الآثام لاتُحصى.

---

(٩٢) ـ الطنابير من آلات اللهو والطرب يُعزف عليها، مفردها طنبور. لها عنق طويل وأوتار من نحاس وهي آلة فارسية.

(٩٣) ـ السواد: الظلام. منحسراً: منكشفاً. المقاصير: الدار التي لايدخلها إلا صاحبها. ودوران الشمس في المقاصير كناية عن طلوع الصباح وارتفاع شمسه.

(٩٤) ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد الثاني، الصفحة: ٣٤٢ .

وكمثال على ذلك يمكن أن نستشهد أيضاً بما ذكره الدكتور **طه حسين** عن مجلس شراب لأبي نواس وعدد من أصحابه الشعراء كانوا عاكفين فيه على شرب الراح فأدركتهم الصلاة فأقاموها وهُم على ماهُم عليه من شدة السكر.

كتب الدكتور طه حسين يقول[٩٥]:

«... ولعلهم أقاموا الصلاة في مثل هذه الحال يوماً وأمَّهُم أحد الندماء فغلط وهو يقرأ «قل هو الله أحد» فاستحالت الصلاة من خشوع لله، إلى استهزاء بهذا الإمام الجاهل، فقال أبو نواس:

أكثَرَ يحيى غَلَطاً   في قُلْ هُو اللهُ أَحدْ

وقال العباس بن الأحنف:

قام طويلاً ساهياً   حتى إذا أعيا سَجَدْ

وقال الحسين الخليع:

يَزْحَرُ في مِحرابهِ   زَحير حُبْلَى بوَلَدْ

وقال الرابع ولعله مسلم بن الوليد:

كأنَّما لسانُهُ   شُدَّ بحبلٍ مِن مَسَدْ».

---

(٩٥) ـ المصدر السابق، المجلد الثاني، الصفحة:٣٤٣

الفصل السادس

دور العُمر والأديرة في انتشار مجالس الشراب

ولم تتخلف عن مهمة عقد مجالس الشراب العُمرُ[1] والأديرة[2] المنتشرةفي كل مكان شامخة على قمم الجبال الراسيات، أو راكعة على سندس السهول والوهاد، وضفاف الأنهر الجاريات منذ أيام الجاهلية وخلال العهود الإسلامية المتتالية، فكانت البديل والخدين، وكانت النِدُّ والشريك.

فإلى جانب الدور الديني والدور الاجتماعي والإنساني الذي لعبته هذه الأديرة كان لها دورٌ آخر قد يعده بعضهم انحرافاً عن دورها الذي أقيمت من أجله وعن الغاية النبيلة التي هدفت إلى تحقيقها. وتمثَّل دورها الآخر بتحولها إلى

(١) ـ العُمر: بضم أوله وسكون ثانيه. لفظة سريانية بمعنى البيت والمنزل. والمراد هنا الدير والجمع أديار. وكذلك البيعة والكنيسة.

(٢) ـ الأديرة: مفردها دير، وهو مكان عبادة لرجال الدين النصارى، ومأوى للنسَّاك والمتبتلين والمتدينين. يقام في الصحارى وعلى رؤوس الجبال وإذا كان في المصر(داخل المدن) فيسمى كنيسة أو بيعة. عن ياقوت الحموي «معجم البلدان» الصفحة:٤٩٥ . بينما المقريزي يقول: «الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به. والكنيسة مجمع عامتهم للصلاة» عن «الخطط والمواعظ والاعتبار» للمقريزي. الجزء الثالث، الصفحة:٤٠٩

مسارح للهو، وأماكن للقصف والشراب وملاذاً للمجان والشعراء والمتبطلين.

قال الشاعر النمري[٣] يصف مجالس شرابه وأيام لهوه فيها:

نزلتُ بمارجُرجسٍ[٤] خير منزل ذكرتُ به أيام لهوٍ مضين لي
تكنفنا فيه السرور وحفَّنا فمن أسفل يأت السرور ومن علِ
يديرُ علينا الكأس ظبيٌ مقرطق يحثُّ بها كاساتها ليس يأتلي[٥]
فياعيش ماأصفى ويالهو دُمْ لنا وياوافد اللذَّات حُييت فأنزل[٦]

لقد كانت هذه الأديرة مقصداً للعرب منذ أيام الجاهلية وهدفاً لطلاب الخمرة المعتقة، وملاذاً للباحثين عن المتعة وأصحاب اللهو والبطالة والمجون وغيرهم من المغرمين بموائد الشراب ومجالس الغناء إلى حدٍّ نشأت فيه «علاقة صداقة ومودة خالصة بين المجان وطلاب المتعة وبين المسؤولين عن هذه الديارات»[٧].

يقول أحد الشعراء في رهبان دير نجران[٨].

---

(٣) ـ النمري: أبو الطيب محمد بن القاسم النمري من شعراء المئة الثالثة للهجرة. كان من أهل الأدب مليح الشعر رقيق الطبع، يكثر الشرب في الديارات والحانات ويلذ له ذلك.

(٤) ـ دير مارجرجس: يقع هذا الدير بالمزرفة على شاطىء دجلة. والمزرفة من أحسن البلاد عمارة وأطيبها بقعة، تحدق بالدير البساتين وتجاوره الخمارات وكل مايحتاج إليه المتنزهون والمجان وأهل البطالة. عن «الديارات» للشابشتي تحقيق كوركيس عواد، الصفحة:٦٩ .

(٥) ـ مقرطق: لابس القرطق، والقرطق قباء له طاق واحد.

(٦) ـ الديارات: أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي، تحقيق كوركيس عواد، الصفحة: ٧١

(٧) ـ الأندية الأدبية في العصر العباسي: علي محمد هاشم، الصفحة: ١٧٩

(٨) ـ دير نجران: دير باليمن يقال له بيعة وتسميه العرب كعبة نجران بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي وعظموها مضاهاة للكعبة. ويعتقد أن نصارى نجران ←

أيا راهبي نجران مافعلت هند | أقامت على عهدي وأنى لها عهد
إذا بَعُدَ المشتاق رثَّتْ حباله | وماكُل مشتاقٍ يغيره البعد[٩]

وللأعشى ميمون أشعار كثيرة في وصف هذه الأديرة وفي تصوير مجالس الشراب والغناء فيها.

قال الأعشى[١٠]:

ألم تَنهَ نفسك عمَّا بها | بلى عادها بعضُ أطرابِها[١١]
وكعبةُ نجران حتم عليـ | ـكِ حتى تُناخي بأبوابها
نزور يزيد وعبد المسيح | وقيساً هُمُ خير أربابها[١٢]
وكأس شربتُ على لذةٍ | وأخرى تداويت منها بها
وشاهدنا الوردُ والياسمين | والمسمعاتُ بقصّابها[١٣]
ومِزهرنا مُعْمَلٌ دائم | فأيُّ الثلاثة أزرى بها[١٤]

وامتد هذا الدور للأديرة واتسع في العهد الأموي بينما اشتد في العصر العباسي وتعاظم.

← على مذهب اليعاقبة. عن «معجم البلدان» لياقوت الحموي المجلد الثاني، الصفحة: ٥٣٨ . وقال أبو عبيدة «أحبت العرب أن تشارك العجم بالبنيان وتنفرد بالشعر فبنوا عمدان وكعبة نجران وحصن مارد والأبلق الفرد... » عن «ثمار القلوب» للثعالبي، الصفحة: ٥٢١ .

(٩) ـ الجواري المغنيات: فايد العمروسي، الصفحة:٢٦

(١٠) ـ مختار الشعر الجاهلي: محمد سيد كيلاني، المجلد الثاني الصفحة: ١٩٠ ومابعدها .

(١١) ـ أطرابها: الأَطراب جمع طرب وهو الشوق.

(١٢) ـ أربابها: أصحابها.

(١٣) ـ المسمعات: المغنيات. قُصَّاب: جمع قاصب وهو الزامر في القصب والقصب أنبوب أجوف له ثقوب.

(١٤) ـ المزهر: العود أو الدف الكبير. أزرى بها: أعاب بها.

كتب إيليا حاوي يقول[١٥]:

«..دأب الرهبان على اختيار الأديرة في أجمل المواقع وقد ابتنوها منذ القرون المسيحية الأولى. ولعلَّ البلاد العربية كانت تحفل بهذه الأديرة التي حولها الرهبان إلى شبه جنائن كثيرة الخضار، رائعة المنظر حتى جعل يقصدها طلاب النزهة للمتعة والتنزه؟.. وأصبح طلاب اللهو والخمور الجيدة يقصدونها لينعموا بخمورها. هذه العادة كانت شائعة في العصر العباسي حيث كنا نرى الخلفاء بالإضافة إلى الأمراء يؤمُّون الأديرة للتنزه وطلباً للتلذذ بخمورها المعتقة الجيدة. وقد ذكرت كتب الأدب اسماء كثيرين من الخلفاء الذين يترددون إلى هذه الأديرة».

كانت هذه الأديرة تتحول أحياناً إلى دور واسعة للعبث واللهو، وتصبح واحدةً من الأماكن الرئيسية والمواقع المعلمة التي عملت على إغراء اللاهثين خلف متع الحياة وملاذها، وجزءاً مُحبباً لا غنى عنه في حياة الشعراء والخلعاء والمُجان، وموقعاً ماتعاً من مواقع اللهو والسمر، ومسرحاً للمغنيات الشاديات اللواتي وَلَجْنَ أبواب هذه الأديرة وتعالت أصواتهن بين جدرانها وسمت فوق أسوارها تصدح بأعذب الأصوات وأجمل الألحان وهُنَّ يغنين الرائع والأجمل من أشعار الحب واللذة والمجون. فما اجتمع الشراب والشعر إلّا وكان الغناء.

ولعمر بن عبد الملك الوراق[١٦] أبياتاً في غاية الظرف والرقة يُعبر فيها عن حنينه إلى أيام الأنس والشراب والسرور التي أمضاها في دير مريحنا[١٧] وإلى ساعات

---

(١٥) - فن الشعر الخمري: إيليا حاوي، الصفحة: ١٣٨ ومابعدها.

(١٦) - عمر بن عبد الملك الوراق: من الخلعاء والمجّان المنهمكين في البطالة والاستهتار والتطرح في الديارات. وله شعر كثير في المجون ووصف الخمرة.

(١٧) - ديرمريحنا: دير للنساطرة. والنسطورية مذهب ديني ظهر في القرن الخامس للميلاد مؤسسه نسطوريوس الذي اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله. ولايزال للكنيسة النسطورية أتباع في العراق وإيران والهند. طقوسها ←

المتعة التي تمتع بنعيمها مع ظباء هذا الدير.

قال عمر الوراق(١٨):

أرى قلبي قد حَنَّا ... إلى دير مريُحنا
إلى ظبي من الأنسِ ... يصيدُ الأنس والجنَّا
إلى أحسن خلق ... الله إن قدَّس أوغنّا
فلما انبلج الصبح ... بزلنا بيننا دنَّا
فلما دارتِ الكأسُ ... أدرنا بيننا لحنا
ولما هجع السُمارُ ... نمنا وتعانقنا

وقال أبو نُواس عن مجالسه في دير بهرازان(١٩):

بدير بهرازان(٢٠) لي مجلسٌ ... وملعب وسط بساتينه
رحت إليه ومعي فتيةٌ ... نزوره يوم شعانينه(٢١)

← سريانية شرقية وتدعى أحياناً بالكنيسة الآشورية. ويقع دير مريحنا على دجلة إلى جانب تكريت وكان على بابه صومعة عبدون الراهب. وهو دير كبير عامر كثير القلايات والرهبان. ولايخلو من المتظرفين والمتنزهين ولامن المسافرين الذين ينزلون فيه. والقلايات واحدتها قلاية، الصومعة ينفرد فيها الراهب.

(١٨) ـ الديارات: لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي. تحقيق كوركيس عواد، الصفحة: ١٧٢ .

(١٩) ـ ديوان أبي نُواس، مصدر سابق الصفحة: ٨٣ .

(٢٠) ـ دير بهرازان: أحد الأديرة الكثيرة في سواد العراق وأكبر الظن أن موضعه في ناحية راذان.

(٢١) ـ الشعانين: يوم السعانين أو الشعانين وهما سواء. مشتقة من العبرية «هو شعنا» ومعناها أنقذنا. ويسوع مشتقة منها ومعناه المخلص. وعرف الشعانين في المؤلفات القديمة بعيد السباسب. وهو عيد يقع في أحد الشعف الذي يسبق عيد الفصح من كل سنة. فهو إذن من الأعياد المتحولة. وفي هذا العيد يقول عبد الله بن العباس بن الفضل الربيعي من أولاد النعم والمترفين الذين كانوا يتطرحون في ←

بكل طلّاب الهوى فاتكٌ قد آثر الدنيا على دينه
حتى توافينا إلى مجلسٍ تضحك ألوان رياحينه
والنرجس الغضُّ لدى ورده والورد قد حفَّ بنسرينه
وجيء بالدَّن على مرفعٍ وخاتمُ العلج على طينه[٢٢]
وافتصد الأكحلُ من دننا فانصاع في حمرة تلوينه[٢٣]
وطاف بالكاس لنا شادن يدميه مسُّ الكف من لينه
يكادُ من إشراق خدَّيه أن تُختطف الأبصارُ من دونه[٢٤]
فلم نزل نُسقى ونلهو به ونأخذ القصف بآيينه[٢٥]
حتى غدا السكران من سكره كالميت في بعض أحايينه

وعن الصبوح في الكنيسة قال الحسن[٢٦]:

آذنك الناقوس بالفجر وغرَّدَ الراهبُ في العُمر
وحَنَّ مخمور إلى خمرةٍ وجاءك الغيث على قَدْرِ[٢٧]
في مسرح ترتع أكنَافَهُ شوادنٌ من بقرٍ زُهرِ[٢٨]

← الديارات. وهو شاعر مطبوع ومغن بارع محسن جيد الصنعة نادرها عاش حتى ايام المتوكل، قال:

أنا في قلبي من الظبي كلومُ فدع اللوم فإن اللوم لومُ
حبذا يوم الشعانين وما نلتُ فيه من سرور لو يدومُ

(٢٢) ـ المرفع: مايرفع به، قاعدة يرفع عليها الدن. العلج: الرجل الضخم القوي من العجم.

(٢٣) ـ افتصد الأكحل: شُقَّ. انصاع: انصب .

(٢٤) ـ تختطف الأبصار: تستلبها من شدة الوهج.

(٢٥) ـ الآيين: القانون وهي آلة موسيقية معربة .

(٢٦) ـ ديوان أبي نُواس: مصدر سابق، الصفحة: ٨٢

(٢٧) ـ المخمور: شارب الخمر. الغيث: المطر، يريد الربيع.

(٢٨) ـ ترتع: تأكل وتشرب. شوادن: الشادن الذي قوي وتبع أمه من الظباء وذوات الظلف والخف والحافر.

ياحبذا الصُبحةُ في العمر وحبذا نيسان من شهرِ[29]
ياعاقد الزنار في الخصر بحرمة الحانة والفهرِ[30]
لاتسقني إن كنت بي عالماً إلاَّ التي أضمرتُ في صدري
هات التي تعرفُ وجدي بها وأكن بما شئتَ عن الخمرِ

وعن مجالس شرب الراح في عُمر الزعفران[28] قال مصعب الكاتب[28]

عُمرت بِقاعُ عُمر الزعفران بفتيان غطارفة هجانِ
بكل فتى يَحِنُّ إلى التصابي ويهوى شرب عاتقة الدنانِ
ظللنا نعمل الكاسات فيه على روض كنقش الخسرواني
وأغصان تميل بها ثمارٌ قريبات من الجاني دواني
وأطيار إذا غنتك أغنت عن ابن المارقي[33] وعن بنانِ[34]
تجاوبها إذا ناحت بشجوٍ بقهقهة القواقز والقناني
وغزلان مراتعها فؤادي شجاني منهم ماقد شجاني
رضيتُ بهم من الدنيا نصيبي غنيتُ بهم عن البيض الغواني[35]

---

(٢٩) ـ الصُبحة: شربة الصبوح.

(٣٠) ـ مايشده أهل الذمة في خصورهم. الفهر: عيد لليهود أو معبدهم.

(٣١) ـ **عمر الزعفران** يقع هذا العمر في الجبل المشرف على بلدة نصيبين في شمال شرقي سوريا. وهو دير كثير القلايات والرهبان، شرابه موصوف ولايخلو من أهل القصف واللعب. عن كتاب «الديارات» للشابشتي تحقيق كوركيس عواد، الصفحة: ١٩١

(٣٢) ـ مصعب الكاتب: كان من أشهر الشعراء تهتكاً وأكثرهم خلاعة ومجوناً واستهتاراً بالمرد وتطرحاً في الحانات والديارات.

(٣٣) ـ **ابن المارقي**: مغن في المئة الثالثة للهجرة. كان يُغني للمتوكل ويمكن الرجوع إلى كتاب الأغاني للوقوف على صنعته وبعض أخباره.

(٣٤) ـ **بنان**: مُغن بارع اشتهر بالضرب على العود في أيام المتوكل. كان منقطع النظير في طبقته. كان هو **وزنام الزامر** إذا اجتمعا على الضرب والزمر أحسنا وفتنا وأعجبا. وكان المتوكل لايشرب إلاَّ على سماعهما. عن ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي، الصفحة: ١٢٢

(٣٥) ـ **الديارات للشابشتي**: مصدر سابق، الصفحة ١٩٢ ومابعدها.

وعن عذارى دير العلث[٣٦] ووجوههن الحسان وقدودهن وألحاظهن وألفاظهن السواحر وفاتن نحورهن عندما تدار عليهن حبيسة الدنان. نقل الشابشتي ما قاله جحظة البرمكي[٣٧] في ذلك من شعر [٣٨]:

---

(٣٦) ـ **دير العلث**، أو **دير العذارى** بجانب العلث. يقع هذا الدير على شاطىء دجلة من الجانب الشرقي بين **سرمن رأى وبغداد** في منطقة العلث. والعلث على مايبدو لفظة سريانية «علوثا» بمعنى الزقاق الضيق أو «عولوثا» بمعنى المدخل أو الطريق أو المجاز. وهذا المعنى يتوافق مع ماذكره الشابشتي من أن هذا الدير متوسد دجلة عند «موضع صعب ضيق المجاز كبير الحجارة شديد الجرية تجتاز فيه السفن بمشقة... وهذا الدير راكب دجلة وهو من أحسن الديارات موقعاً وأنزهها موضعاً. يُقصد من كل بلد ويُطرق كل أحد ولايكاد يخلو من منحدر ومصعد ومن دخله لم يتجاوزه إلى غيره لطيبه ونزهته» عن «الديارات» للشابشتي الصفحة: ٩٦ ومابعدها. وكتب عنه **العمري** يقول: «كانت حوله حانات للخمارين وبساتين ومنتزهات لايعدم من دخله أن يرى من رواهبه حواري حسان الوجوه والقدود والألحاظ والألفاظ». عن «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن **فضل الله العمري**، تحقيق أحمد زكي المجلد الأول، الصفحة: ٢٥٨ .

(٣٧) ـ **جحظة البرمكي**: أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي. ولد سنة ٢٢٤ للهجرة ومات سنة ٣٢٤ هجرية بعد أن عمر مئة سنة. وسمي جحظة لجحوظ عينيه. كان قبيح المنظر رقيق البدن ماجناً، عالماً بالأدب والموسيقى والغناء واللغة والنجوم. مليح الشعر حاضر النادرة حسن الغناء والعزف على الطنبور. له مؤلفات كثيرة في مختلف الفنون منها كتاب «الطبيخ» وكتاب «السكباج» وكتاب «المشاهدات» وكتاب عن التنجيم، وكتاب عن الطنبور وعزفه وعازفيه. وديوان شعر طريف في مختلف الأغراض. ومن أرق شعره الغزلي قوله:

إذا ماظمئتُ إلى ريقه ... جعلت المدامة منه بديلا
وأين المدامة من ريقه؟ ... ولكن أعلل قلباً عليلاً

وله في شكوى الزمن مما يقترن بالفخر:

أليس من العجائب أن مثلي ... يُقام لأحمد بن أبي العلاء
ولي نفس أبت إلاَّ ارتفاعاً ... فأضحت كالسماء على السماءِ ←

أيـهـا المالحان بـالـلـه جُـدًّا ... وأصلحا لي الشراع والسكانا
بـلـغـانـي، هُـديـتـما الـبـردانـا ... وأنزلا لي من الدنان دنانا
وانزلا بي إلى شراب عتيق ... عـتـقـتـه يـهـوده أزمـانـا
واحططا لي الشراع بالدير ... بالعلث لعلّي أعاشر الرهبانا
وظباء يتلون سفراً من الإنجـ ... ـيل باكرن سحرة قربانا
لابسات من المسوح ثياباً ... جعل الله تحتها أغصانا
خفرات حتى إذا دارت الكاس ... كشفن النحور والصلبانا
رقَّ حتى حسبته خدٌّ من ... أبدلني من وصاله هجرانا

وفي دير حنظلة[٣٩] اللخمي يقول أحد الشعراء[٤٠]:

بساحة الحيرة دير حنظلة ... عليه أذيال السرور مسبلة
أحييتُ فيه ليلة مقتبلة ... وكأسنا بين الندامى مُعملة
والراح فيها مثل نارٍ مشعلة ... وكلنا مستنفِدٌ ماحوّله
فيها يلذُّ عاصياً من عذله ... مبادراً قبل يلاقي أجله

ولم يكن الشراب والغناء قصراً على الشعراء والمجان العابثين الباحثين عن المتع الماتعات في رحاب الغُمر والديارات، بل كان لبعض الخلفاء أيضاً ليالٍ وأيام عجاب يعبون ما استطابوا من خمورها، ويتمتعون بما لذَّ لهم من فنونها وملاذها.

← لقد غضب الزمان على أناس ... فأبلاهم بأولاد الزناء

عن شعراء المجون: صالح جودت، سلسلة كتاب الهلال العدد رقم ٢٦٤ الصفحة ٩٤ ومابعدها.

(٣٨) ـ الديارات، للشابشتي، مصدر سابق، الصفحة: ٩٧

(٣٩) ـ **دير حنظلة**: وهو من ديارات بني علقمة بالحيرة. بناه حنظلة بن عبد المسيح محبة لولاية الحق والأمانة.

(٤٠) ـ **الديارات**: لأبي الفرج الأصبهاني. مصدر سابق، الصفحة: ٧٨ .

حدث اسحق الموصلي[٤١] قال[٤٢]:

«خرجنا مع الرشيد إلى الرقة فمررنا بالقائم الأقصى[٤٣] فاستحسن الرشيد الموضع وكان الوقت ربيعاً وكانت تلك المروج مملوءة بالشقائق وأصناف الزهر. فشرب على ذلك ثلاثة أيام. ودخلت الدير فطفته فإذا فيه ديرانية نهد ثدياها، عليها مسوح، مارأيت قط أحسن منها وجهاً وقداً واعتدالاً. وكأن تلك المسوح عليها حُليٌ. فدعوت بنبيذ فشربت على وجهها أقداحاً وقلتُ فيها:

بدير القائم الأقصى   غزالٌ شادن أحوى

برى حبي له جسمي   ولايدري بما ألقى

وأخفي حبَّه جُهدي   ولا والله ما يَخفى

ثم دعوت العود وغنيتُ فيه صوتاً حسناً ولم أزل أكرره وأشرب عليه وأنظر إلى وجهها حتى سكرتُ.

فلما كان الغد دخلت على الرشيد وأنا ميت سكراً فاستخبرني فأخبرته بقصتي فقال: طيب وحياتي ودعا بالشراب فشرب سائر يومه.

---

(٤١) ـ اسحق الموصلي: هو اسحق بن إبراهيم الموصلي الموسيقار والنديم ابن النديم والأنيس الجليس. ولد في الري عام ٧٦٧ للميلاد وتوفي في بغداد عام ٨٥٠ ميلادية. من مُغني العصر العباسي الأول تعلم الحديث والقرآن والأدب والغناء وكان منقطعاً إلى الرشيد والبرامكة، لم يسبقه أحد في صنعة الغناء والضرب على العود. اشتهر بأدبه وظُرفه. من مؤلفاته الكثيرة التي صنعها وألفها «كتاب أغانيه التي غنى فيها» و«كتاب النوادر والأخبار» و«كتاب الندماء» وغيرها.

(٤٢) ـ الديارات: لأبي الفرج الأصبهاني، مصدر سابق، الصفحة: ١٢٨ ومابعدها.

(٤٣) ـ دير القائم الأقصى: يقع على شاطىء الفرات من الجانب الغربي في طريق الرقة بغداد. فيه مساكن للعذارى، وهو مرقب من المراقب التي كانت بين الفرس والروم على أطراف الحدود. عن الروض المعطار للحميري تحقيق الدكتور، إحسان عباس، الصفحة: ٢٥٠ .

فلما كان العشي قال: قم حتى أتنكر وأدخل معك على صاحبتك فأراها. فركب حماراً وتلثم بردائه فدخلنا، فرآها وقال: مليحة والله ما ضيَّعت ما صنعت. فأمر فجيء بكأس وأحضرت عودي وغنيته الصوت ثلاث مرات وشرب ثلاثة أرطال وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

فقلت له: ياسيدي فصاحبة القصة؟.

فأمر لها بمثل ذلك وأمر ألاَّ يؤخذ من مزارع هذا الدير خراج وأقطعهم إياه».

وكتب السيد محمد الحميري صاحب الروض المعطار عن دير مُرّان(٤٤) وأن الرشيد نزل به وقصف فيه وشرب. وكان مع الرشيد حين نزل به الحسين الخليع(٤٥).

قال الحميري(٤٦):

---

(٤٤) ـ **دير مُرّان:** يقع في سفح جبل قاسيون بدمشق. ويظهر أنه كان فيه مساكن للراهبات إلى جانب مساكن الرهبان.

قال عرقلة الكلبي متشوقاً إلى هذا الدير:

وفي دير مُرّان خمارةٌ ... من الروم في يوم شعنينها
سقتني على وجهها المشتهى ... أرقّ واعتق من دينها

عن «خريدة القصر وجريدة العصر»: تحقيق الدكتور شكري الفيصل، المجلد الأول، الصفحة: ٢٥٥

(٤٥) ـ **الحسين الخليع:** هو الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي، شاعر رقيق الشعر عذبه من ندماء الخلفاء. ولقب بالأشقر كما لقب بالخليع لخلاعته ومجونه. بصري المولد والمنشأ. ولد سنة ١٢٦ للهجرة وتوفي سنة ٢٥٠ هجرية. كتب عنه أبو الفرج يقول: «شاعر أديب ظريف مطبوع حسن التصرف في الشعر حلو المذهب لشعره قبول ورونق صافٍ وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها». الأغاني، المجلد السابع، الصفحة: ١٤٦

(٤٦) ـ الروض المعطار، مصدر سابق، الصفحة: ٢٥٠

«... يقع هذا الدير بنواحي الشام على قلعة مشرفة على مزارع زعفران ورياض حسنة. نزله الرشيد وشرب فيه معه الحسين بن الضحاك. فقال الحسين:

يادير مُرَّان لاعُرِّيت من سكن	قد هجت لي شجناً يادير مرَّانا
هل عند قسك من علم فيخبرني	أم كيف يُسعد وجه الصبر من بانا
حُثَّ المدام فإن الكأس مترعةٌ	مما يهيجُ دواعي الشوق أحيانا

وذكر أبو الفرج أن الرشيد أمر عمرو بن بانة(٤٧) أن يُغني فيه لحنين أحدهما هزج والآخر رملٌ(٤٨).

وعن دير الأعلى(٤٩) في الموصل يحدثنا أبو الفرج عن محمد بن يزيد عن حماد ابن إسحاق عن أحمد بن صدقه(٥٠) قال: «خرجنا مع المأمون فنزلنا الدير

---

(٤٧) ـ **عمرو بن بانه**: هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد. نُسب إلى أمه بانة بت روح القحطبية. كان مغنياً محسناً وشاعراً صالح الشعر وكتابه في الأغاني أصل من الأصول. وكان يتعصب لإبراهيم بن المهدي ويذهب مذهبه في الغناء وتجنيسه. وكان تياهاً معجباً شديد الذهاب بنفسه وهو معدود من ندماء الخلفاء ومغنيهم. عن «الأغاني» المجلد الخامس عشر، الصفحة: ٢٦٩

(٤٨) ـ الديارات لأبي الفرج الأصبهاني مصدر سابق، الصفحة: ١٥٥

(٤٩) ـ **دير الأعلى**: يقع هذا الدير في الموصل على أعلى جبل يُطل على دجلة. كان يضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف. قيل له درجة منقورة في الجبل يفضي إلى دجلة نحو المائة مرقاة وعليها يستقي الماء من دجلة. عن الديارات للشابشتي، الصفحة: ١٧٦

وفي هذا الدير قال سعيد الخالدي:

قمر بدير الموصل الأعلى	أنا عبده وهواه لي مولى
لثم الصليب فقلت في حسدٍ	قُبل الحبيب فمي بها أولى

عن «ديوان الخالديان محمد وسعيد»، تحقيق سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق الصفحة: ١٤٥

(٥٠) ـ **أحمد بن صدقة**: هو أحمد بن صدقة بن أبي صدقة، من أسرة حجازية ←

الأعلى بالموصل لطيبه ونزاهته، وجاء عيد الشعانين فجلس المأمون في موضع منه حسن مشرف على دجلة والصحراء والبساتين ويشاهد منه من يدخل الدير. وزين الدير في ذلك اليوم بأحسن زي، وخرج رهبانه وقسانه إلى المذبح وحولهم فتيانهم، بأيديهم المجامر، قد تقلدوا الصلبان وتوشحوا بالمناديل المنقوشة فرأى المأمون ذلك فاستحسنه. ثم انصرف القوم إلى قلاليهم(٥١) وقربانهم وعطف إلى المأمون من كان معهم من الجواري والغلمان بيد كل واحد منهم تحفة من رياحين وقتهم، وبأيدي جماعة منهم كؤوس فيها أنواع الشراب فأدناهم وجعل يأخذ من هذا ومن هذه تحية، وقد شغف بما رآه منهم، ومافينا إلاّ من هذه حاله. وهو خلال ذلك يشرب والغناء يعمل. ثم أمر بإخراج من معه من وصائفه المزنرات فأُخْرِجَ إليه عشرون وصيفة بأيديهن الخوص والزيتون.

فقال: ياأحمد، قد قلتُ في هؤلاء أبياتاً فغني بها وهي:

ظباءٌ كالدنانير	ملاح في المقاصير
جلاهُنَّ الشعانينُ	علينا في الزنانير
وقد زرَّفن أصداغاً	كأذناب الزرازير
وأقبلن بأوساط	كأوساط الزنانير

وطرب وشرب واستعاد الصوت.»(٥٢)

← معروفة في الغناء، قدم على الرشيد وغنى له. واختص بالمتوكل. كان طنبورياً حاذقاً حسن الغناء محكم الطبقة. وله غناء كثير في الأرمال والأهزاج وماجرى مجراها من غناء الطنبوريين. عن كتاب «الأغاني» المجلد الثاني والعشرين، الصفحة: ٢١٢ .

(٥١) ـ القلالي: مفردها قلَّة. تشبه الصومعة التي ينفرد فيها الراهب. والكلمة يونانية تعني حجرة الراهب.

(٥٢) ـ الديارات لأبي الفرج، مصدر سابق الصفحة ٤٥ ومابعدها.

ويقال إن أبا **علي بن الرشيد** وأمه تُعرف بِشَكَلْ كان يلازم دير مديان[٥٣] ويشرب فيه. وذكر الشابشتي أنه: «كان له قيان يحملهن إليه ويقيم به الأيام لايفتر عزفاً وقصفاً. وكان شديد التهتك. وكان من يجاور الموضع يشكون مايلقونه منه» وأن إسحق بن إبراهيم الطاهري خليفة السلطان في بغداد أيام المعتصم نهاه فلم يسمع وقال: «أي يد لإسحق عليَّ وأي أمر له فيَّ؟، أتراه يمنعني من سماع جواريَّ والشرب بحيث أشتهي؟» فلما وصله هذا الجواب منه أحفظه وتمهل حتى إذا كان الليل «... ركب إلى الموضع وأحاط به من جميع جهاته وأمر أن يفتح باب الدير وينزل به على الحال التي هو عليها. فأنزل وهو سكران في ثياب مصبغة وقد تضمخ بالخلوق[٥٤] فقال له: سوءة لك رجل من ولد الخلافة على مثل هذه الحال؟. ثم أمر ففرش بساط على باب الدير وبطح عليه وضربه عشرين درة»[٥٥].

وفي دير مديان قال الحسين الخليع[٥٦]:

حُثَّ المدام فإن الكأس مترعة	مما يهيج دواعي الشوق أحيانا
يادير مُدياں لاعُرِّيت من سكن	ماهجت من سقم يادير مديانا
سقياً ورعياً لكرخايا وساكنه	بين الجنينة والروحاء من كانا

وللفضل بن العباس بن المأمون[٥٧] في دير مرمار[٥٨] أبياتاً من الشعر في غاية

---

(٥٣) ـ **دير مديان:** يقع هذا الدير على نهر كرخايا ببغداد. وهو دير حسن نزه حوله بساتين وعمارة. ويُقصد للتنزه والشرب ولايخلو من قاصد أو طارق الديارات للشابشتي الصفحة: ٣٣

(٥٤) ـ الخَلُوق بفتح الخاء وضم اللام. ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره وتغلب عليه الحمرة والصفرة.

(٥٥) ـ الديارات للشابشتي مصدر سابق، الصفحة: ٣٤ ومابعدها.

(٥٦) ـ المصدر السابق، الصفحة:٣٣ ومابعدها.

(٥٧) ـ **الفضل بن العباس ابن المأمون**: من أولاد الخلفاء وحفيد المأمون. ←

الرقة والظُرف، يتذكر فيها أيامه الممتعة، ويصف غبوقه وصبوحه ومجالس أنسه في هذا الدير.

قال الفضل(٥٩):

أنضيتُ في سُرَّمَنْ را(*) خيل لذاتي	ونِلتُ منها هوى نفسي وحاجاتي
عمَّرت فيها بقاع اللهو منغمساً	في القصف مابين أنهارٍ وجنَّاتِ
بدير مرمار إذ نُحيي الصَّبوح به	ونُعملُ الكاس فيه بالعشياتِ
بين النواقيس والتقديس آونةً	وتارة بين عيدان وناياتِ
وكم به من غزال أغيدٍ غَزِلٍ	يصيدنا باللُّحاظ البابليات

وكتب كوركيس عواد عن دير ماريوحنا يقول(٦٠):

«...ويعد هذا الدير من جملة الديارات التي اتخذها الخلفاء وعشاق الصهباء

← كان شاعراً أديباً وكان عاملاً على المدينة سنة ٢٦٩ للهجرة وقيل أنه توفي سنة ٢٧٣ هجرية.

(٥٨) ـ **دير مرمار**: أو دير مرماري: يقع هذا الدير في سرَّمن رأى عند قنطرة وصيف جنوب سامراء بقليل. ووصيف هو القائد التركي المعروف. كان ديراً عامراً كثير الرهبان حوله كروم وشجر، وهو من المواقع النزهة والبقاع الطيبة الحسنة ولأهل اللهو به إلمام.

(٥٩) ـ الديارات: لأبي الفرج، مصدر سابق، الصفحة: ١٥٨

(*) ـ سَرَّمن را ، أو سامرَّاء : هي المدينة التي بناها أبو جعفر المنصور، ومعناها أنها تسُر من يراها لجمال بنائها وقصورها وحدائقها...

(٦٠) ـ دير ماريوحنا: ويسمى ماريوحنا المعمدان، من أديار الملكيين بمصر. والملكيون هم المسيحيون الشرقيون المنتمون إلى الكرسي الإنطاكي، الخاضعون لملوك الروم. ويقع هذا الدير بقرب النيل على شاطيء بركة الحبش التي تعتبر من أجَلِّ منتزهات مصر. وفي خطط المقريزي، المجلد الثالث الصفحة ٢٤٧ ومابعدها كلام عن هذه البركة لمن يرغب التوسع.

في بلاد الإسلام متنزهات للهو والطرب وحانات للسكر والغناء لاجتماع طيب الهواء وحسن المنظر وإشرافه على بركة الحبش إحدى بقاع مصر المشهورة بالقصف والبطالة»[٦١].

ومن الشعراء الذين ذكروا هذا الدير وتغنوا بذكريات مجونهم ولهوهم فيه الشاعر محمد بن عاصم الموقفي[٦٢].

قال ابن عاصم[٦٣]:

ياطيب أيام سفحتُ مع الصِبى	طوع الهوى فيها بسفح المنظر
فالبركةُ الغناء فالدير الذي	قد هاج فرط صبابتي وتفكري
فاحثث كؤوسك ياغلام واعفني	فلقد سكرتُ وخمر طرفك مسكري
وأرى الثريا في السماء كأنها	تاج تفصل جانباه بجوهر
فاشرب على حسن الرياض وغنني	انظر إلى الساقي الأغنّ الأحور
فلعل ايام الحياة قليلة	ولعلني قدَّرتُ مالم يُقدَّرِ

(٦١) ـ ذيل كتاب الديارات للشابشتي، مصدر سابق، الصفحة: ٤٠٦

(٦٢) ـ محمد بن عاصم الموقفي: شاعر مصري مات سنة٢١٥ للهجرة. ذكر صاحب اليتيمة بعض أشعاره في المجلد الأول الصفحة: ٤٢٦ ومابعدها.

(٦٣) ـ الديارات للشابشتي، مصدر سابق، الصفحة: ٢٩٠ .

الفصل السابع

أدب السمر والظُرف

لقد ترك رواد هذه الأديرة والحانات من خلفاء وشعراء ومجان وعابثين بصماتهم وضيئة بألوان الحياة تخلد خلجات الروح في تمردها على الموت وتدون حالات الفرح هذه أحاديث للآتي وشعراً يمجد الذكريات ويخلد المناسبات ويصور مجالس الشراب والغناء وليالي الأنس الصاخبات بمرحها وسعدها بصنجها ومزهرها بشرابها وقصفها وعزفها مما ساعد على ظهور عدد من الشعراء الكبار الذين لمعوا في هذا المجال ومهدوا مع غيرهم من الشعراء المجان لنشوء نوع من أدب السمر سُمِّيَ بأدب الديارات أو مايمكن أن يُعدَّ من أفضل ألوان أدب السمر والظُرف وماتغنت به حناجر القيان من شعر الخمرة والحب.

ومن يعود إلى المصنفات الأدبية القديمة وكتب التراجم والسير وبشكل خاص إلى كتاب «الديارات» للشابشتي، و«الديارات» **لأبي الفرج الأصبهاني** و«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» **لابن فضل الله العمري** وغيرها... يشاهد انتصاب قامة هذه الظاهرة بشكل واضح وجليّ كأنها تريد أن تقول وتؤكد أن هذه الأديرة كانت إلى جانب الحانات والمواخير والقصور أعشاشاً لهذه المجالس والخلوات ومسرحاً لهذه الحياة بهذا القدر أو ذاك حتى ان بعضهم

كانوا يسمون «دير سرجس[1] معصرة أبي نواس»[2] .

قال أبو نواس متغزلاً ويذكر أيامه في بعض هذه الأديرة[3]:

بعمودية الدير العتيق	بمطرينيُّها[4] بالجاثليق[5]
بشمعون بيوحنا بعيسى	بمار سرجس القسّ الشفيق
بميلاد المسيح بيوم ذبحٍ	بباعوثا[6] بتأدية الحقوق
بمارت مريم[7] وبيوم فُصحٍ	وبالقربانِ والخمر العتيق
بِحجِّك قاصداً ماسرجسانٍ	بدير النوبهار فدير فيق[8]

---

(١) ـ دير سرجس: بطيرناباذ بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق و«كانت أرضه محفوفة بالنخيل والكروم والشجر والحانات والمعاصر. وكانت إحدى البقاع المقصودة والنزه الموصوفة» عن الديارات للشابشتي الصفحة: ٢٣٣

(٢) ـ أبو نواس بين التخطي والالتزام، الدكتور علي شلق، الصفحة: ٤٥

(٣) ـ الديارات للشابشتي: مصدر سابق، الصفحة: ٢٠٥

(٤) ـ بمطرينيها: تحريف متروبوليت. من ألقاب رجال الدين النصارى. ومنها اختصر لقب مطران.

(٥) ـ الجاثليق: جمع جثالقة. لفظ يوناني معناه «العمومي» والمراد به الرئيس الديني الأعلى عند الكلدان النساطرة في أيام الملوك الساسانين والخلفاء العباسيين ويقابله في وقتنا هذا البطريرك .

(٦) ـ بباعوثا: الباعوث لفظة سريانية معناها الابتهال والتضرع وهي تعني في هذه الأيام صوماً يسميه نصارى العراق باعوث نينوى. وهو صوم ثلاثة أيام تتقدم الصوم الأربعيني بثلاثة أسابيع.

(٧) ـ مارت مريم: مارت لفظة سريانية تعني السيدة. ومارت مريم تعني السيدة مريم. وذكر الحميري ديراً بهذا الاسم فقال: «دير قديم يقع في بلاد الشام، عن «الروض المعطار»، الصفحة ٢٥١ . بينما ذكر أبو الفرج ديراً آخر بهذا الإسم يقع في نواحي الحيرة ويشرف على النجف وهو دير قديم من بناء آل المنذر حسن الموضع بين الخورنق والسدير عن «الديارات» للأصبهاني، الصفحة:١٤١ .

(٨) ـ دير فيق: يقع هذا الدير «في ظهر عقبة فيق فيما بينها وبين بحيرة طبرية ←

بحرمة وجنتيك وحسن وجهٍ تتيهُ به وبالقَدِّ الرشيقِ
وبالحُسن المركب فيك ألاّ رحمتَ تحرقي وجفوف ريقي
لقد أصبحت زينة كلِّ ديرٍ وعيدٍ مع جفائك والعقوق[9]

وقال بكر بن خارجة[10] يصف أيامه في دير مارة مريم الذي مرَّ ذكره[11]:

بتنا بمارةِ مريمِ سقياً لمارةَ مريمِ
ولقسنا يحي المهيئم بعد نومِ النُوَّمِ
وليوشع والخمرة الحمـ ـراء مثل العندمِ
ولفتيةٍ حفُّوا به يعصون لوم اللُّومَ
يسقيهمُ ظبيٌ أغنُّ لطيفُ خَلق المعصمِ

في جبل يتصل بالعقبة، منقور في الحجر وهو عامر بمن فيه ومن يطرقه من النصارى لجلالة قدره عندهم. وغيرهم يقصده للتنزه والشرب فيه. والنصارى يزعمون أنه أول دير عُمل للنصرانية. وأن المسيح عليه السلام كان يأوي إليه ومنه دعا الحواريين. عن «الديارات» للشابشتي الصفحة: ٢٠٤ . أما دير النوبهار فيقول صاحب معجم البلدان: «وأخبار هذا الدير غير معروفة لدينا».

(٩) ـ لاتوجد هذه القصيدة في طبعات ديوان أبي نواس. وردت في «الفكاهة والايتناس» في الصفحة: ٨٠ ومابعدها وتحتوي على أربعة وعشرين بيتاً. وعند الشابشتي في الديارات تحتوي على سبعة عشر بيتاً منها اثنا عشرَ وردت في «الفكاهة»، واثنا عشر آخرى لم ترد عند الشابشتي.

(١٠) ـ **بكر بن خارجه**: شاعر ماجن عباسي اشتهر في عصر المأمون. من أهل الكوفة كان يعمل وراقاً لضيق العيش، مقتصراً على التكسب من الوراقة. كان معاقراً للشرب في منازل الخمارين وحاناتهم، طيب الشعر مليحاً مطبوعاً... وله في غلام نصراني تعشقه:

وشادن قلبي به معمودُ شيمته الهجرانُ والصُّدودُ
لاأسأم الحِرصَ ولايجودُ والصبرُ عن رؤيته مفقودُ
زنارهُ في خصره معقودُ كأنه من كبدي مقدودُ

أفسدت الخمر عقله في آخر أيامه. عن «الأغاني»، المجلد الثالث والعشرون الصفحة: ١٨٨ ومابعدها.

(١١) ـ الديارات لأبي الفرج، مصدر سابق، الصفحة: ١٤١ ومابعدها.

يرمي بعينيه القلوبَ كـمـثـل رمـي الأسـهـمِ

ومن طريف مايمكن أن يُتخذ مثالاً على هذا اللون من شعر الظُرف والسمر أن جماعة من الشعراء الظرفاء اجتمعوا على الشراب والسمر وتناشُدِ الأشعار. وماأكثر ماكانوا يجتمعون! ففي إحدى المرات عندما هموا بالانصراف وقد قاربت ذكاء المغيب سأل واحد منهم: أين نحن العشية؟. فأخذ كل واحد يقول عندي. فأقسمت عِنان الشاعرة ألاّ تكون الدعوة إلاّ شعراً، وعليهم أن يقولوا وعليها أن تحكم وأن يرضوا بحكمها وهكذا بدأ الحوار كما يقول أبو الفرج(١٢):

فبدأ داود بن رزين الواسطي(١٣) فقال:

قوموا إلى قصفِ لهوٍ وظِـلٍّ بـيـت كـنـينِ
فـيـه مـن الـورد والمر زجـوش والـيـاسـمـين(١٤)
وريـح مـسـك ذكـيٍّ بـجـيِّـد الـزَّرجـون(١٥)
وقـينةٍ ذات غُـنـجٍ وذات دَلٍّ رَصـينِ
تـشـدو بـكـلٍّ ظـريـفٍ من صنعةِ ابن رَزيـن

وقال أبو نواس:

---

(١٢) ـ «الإماء الشواعر» لأبي فرج الأصبهاني. تحقيق الدكتور جليل العطية، الصفحة: ٣٧

(١٣) ـ داود بن رزين الواسطي: مولى عبد القيس. كان شاعراً محسناً ورد بغداد وعاشر بها أبا نواس وغيره. وكان راوية بشار بن برد.

(١٤) ـ المرزجوش: ضرب من الرياحين. عن كتاب الألفاظ الفارسية المعربة.الصفحة ١٤٤

(١٥) ـ الزرجون: معرب زركون أي لون الذهب. عن كتاب الألفاظ الفارسية المعربة.الصفحة ٧٧ تأليف السيد ادي شير رئيس أساقفة سعرد الكلداني طبع بيروت سنة١٩٠٨ ميلادية.

لابل إليَّ ثِقاتي قُوموا بنا ياحياتي
قوموا نَلذّ جميعاً بقول هاك وهاتِ
فإن أردتم فتاةً أتحفتكم بفتاةِ
وإن أردتم غلاماً أتيتكم بمؤاتي
فبادروه مجوناً في وقت كُلِّ صلاةِ

وقال الحسين الخليع:

أنا الخليع فقوموا إلى شرابِ الخليعِ
إلى شراب لذيذٍ من بعد جدي رضيعِ
وذي دلالٍ رخيم بالخندريس صريعِ
في روضةٍ جادها صوبُ غاديات الربيع
قوموا تنالوا جميعاً منال ملكٍ رفيعِ

وقال الرقاشي[16]:

لله درّ عُقارٍ حلّت ببيت الرقاشي
عذراءُ ذات احمرارٍ أتى بها لأحاشي
قوموا ندامايَ روّوا مُشاشكم ومُشاشي
وناطحوني كؤوساً نطاح صُلبِ الكباشِ
فإن نكلتُ فِحلٌ لكم دمي ورياشي

وقال عمرو الوراق:

قوموا إلى بيت عمروٍ إلى سماعٍ وخمرِ
وساقيات علينا تُطاع في كل أمرِ
وشادنٍ ذي دلالٍ يزهى بطرف ونحرِ

---

(١٦) ـ **الرقاشي**: هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش وهو من ربيعة شاعر مطبوع سهل الشعر نقي الكلام. كان ماجناً خليعاً متهاوناً بالفروض الدينية. انقطع إلى آل برمك.

فــذاك بــرٌّ وإن شـئـتـم أتـينا بـبـحـرِ
هـذا ولـيس عـلـيكـم أولـى ولاوقـت عـصـرِ

وقال الحسين الخياط:

قـضت عِـنانُ عليكم بـأن تـزوروا حـسينا
وأن تـقـرّوا لـديـه بالقصْف واللهو عينا
فـمـا رأيـنـا كـظـرف الحسين فـيـمـا رأيـنـا
قـد قـرَّب الـلـه مـنـه زيـنـاً وبـاعـدَ شـينا
قـومـوا وقـولـوا أجـزنـا مـاقـد قـضيـتَ عـلـينا

وقالت عنان[١٧]:

مـهـلاً فـديتـك مـهـلاً عِـنـان أحـرى وأولـى
بـأن تـنـالـوا لـديـهـا أشـهـى الـطـعـام وأحـلـى
فـإن عـنـدي حـرامـاً مـن الـشـراب وحِـلاً
لاتـطـمـعوا في سوائي مـن الـبـريـة كـلا
كـم أصـدقـوا بـحـيـاتـي أجـاز حُـكـمـي أم لا؟

فقالوا جميعاً:

قد جاز حكمك، فاحتبستهم ثلاثاً يقصفون عندها.».

---

(١٧) ـ عِنان، بكسر العين جارية صفراء مغناج اشتراها النطافي فرباها وعلمها وثقفها وأدبها. اشتهرت بقول الشعر فكانت من أشهر شعراء دهرها بديهة وأسبقهم نادرة وأعذبهم حديثاً، مع رقة وجمال. تمتعت عِنان بحرية مطلقة في علاقاتها وسلوكها جعلت أخلاقها أقرب ماتكون بتحررها إلى أخلاق الرجال منها إلى أخلاق النساء. فكانت لا تبالي بما تفعل ولاتخجل من ذكر الألفاظ البذيئة في أحاديثها وشعرها وبشكل خاص في مساجلاتها الشعرية مع أبي نُواس وغيره ويمكن القول ان عِنان بحيَاتها وسلوكها وشعرها كانت تجسد ظاهرة التحرر بين النساء الجواري تلك الظاهرة التي كانت بحق من الأمور المستجدة في محيطها وعصرها، عصر الشك في القيم السائدة والثورة على القديم.

إن مثل هذه الحادثة تعد حدثاً كبيراً في حياة شاعر من شعراء عصرنا إذا وقعت له - وقلما تقع - لكنها في ذلك العصر كانت صورة مألوفة ومتكررة في حياة هؤلاء الناس، وشريطاً واضح المعالم، صادق الإخراج عن نمط الحياة الاجتماعية والسلوكية اليومية التي تعيشها شرائح اجتماعية متعددة في ذروة الهرم الاجتماعي وحوله، ويمارسها أيضاً مع فارق السرف في الترف زمرة الشعراء والخلعاء والمجان المنسجمين فكراً ومذهباً وطبيعة وسلوكاً والذين لايبالون بكل ماتعارف عليه الناس من قيم وأعراف وضوابط اجتماعية وبخاصة بعد أن أصبح في استطاعتهم أن يشربوا الخمر جهراً متى أرادوا دون خوف أو وجل من الرقباء والشرط. وأن يتقارضوا الشعر غزلاً ووصفاً فيصفوا جو الخمارات ومجالس الشراب والغناء والعبث بالنساء والغلمان دون أن يخشوا سطوة الأصمعي وأبي عبيدة كما قال الدكتور طه حسين[١٨].

أجل لقد وصفوا الخمرة التي أحبوها واختاروها بأنفسهم بعد أن أغرقتهم بنشوة عُرفها. كما وصفوا سرف رغباتهم وأهوائهم ونزواتهم التي يمارسوها من غير جُناح ولارقيب ولاتكلف ولاتقييد بعد أن غمرتهم جواء الحانات ومجالس الشراب بنشوة طيب النساء وتثني السقاة والطرب المراح. وقد يطرحون على القيان ماانتهوا إليه من أشعار لتلحن وتُغني في بنت ساعتها. وبذلك تتعاون قرائح الشعراء والنظام وحناجر القيان ودبيب الخمرة في خلق جوٍ زاخر بالطرب والنشوة والأدب والمتعة، وتتحول تلك المجالس التي تزين بأطواق الياسمين وأكاليل الآس والغار ومأأشبهها من أنواع الرياحين والزهور[١٩]، وتعبق أجواؤها بأريج الخمر وذكيِّ العطور إلى حلقات يختلط فيها صخب السكارى بشدو المغنيات ودق الطنابير وعزف المزامير وقرع المزاهر والصنوج وهسهسة تثني

---

(١٨) - المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد الثاني، الصفحة/ ٣٥٧

(١٩) - يقال ان فرش مجالس الشراب بأنواع الرياحين أو نثرها على رؤوس الحاضرين ماهي إلا بقية من عادة وثنية قديمة العهد، يعتقد أنها تذهب بالخمار وتساعد حاملها على استساغة الشراب. عن «الجواري» لجبور عبد النور، الصفحة: ٥١

الخصور وهزِّ الأرداف ورمان الصدور.

قال مطيع بن إياس يصف مجلساً لهم ببغداد[٢٠]:

ويومٍ ببغداد نعمنا صباحه	على وجه حوراء المدامعِ تُطربُ[٢١]
ببيت ترى فيه الزجاج كأنه	نجوم الدجى بين الندامى تَقَلَّبُ
يُصَرِّف ساقينا ويقطُبُ تارةً	فياطيبها مقطوبةً حين يقطِبُ[٢٢]
علينا سحيق الزعفران وفوقنا	أكاليلُ فيها الياسمين المذهبُ
فما زلتُ أسقى بين صنجٍ ومزهرٍ	من الراح حتى كادت الشمس تغربُ

وحين أُتيح للعاطفة أن تحيا من غير جناح ولا رقيب أضحى ممكناً التعبير عنها ووصفها من غير تكلف ولا تقييد بالقديم. فغاب الشعور بالحرج كلية كما ذكرنا مما كانوا يتناولون ويقترفون، وعبروا بشكل عارٍ وجريء عمّا اعتاد الناس على كتمانه من تصرفات وميول ورغبات أو نزوات تستوجب الكتمان. ورفضوا أن يخلطوا متعتهم بأية فكرة عن الخطيئة وهم الذين سخروا من النفاق الاجتماعي وازدواجية مدلول كل القيم والأخلاق والأعراف السائدة. فلم يسمحوا لأحد أن يصم سلوكهم بميسم الخطأ والانحراف بعد أن استبدلوا ـ إذا صحَّ التعبير ـ أخلاقهم بأخلاق جديدة والقيم السائدة بقيم تنسجم والحياة التي يعيشونها.

قال **المهلهل بن يموت**[٢٣] في وصف الرياض والحث على الشراب[٢٤]:

---

(٢٠) ـ كتاب الأغاني مصدر سابق، المجلد الثالث عشر، الصفحة: ٣٠٠

(٢١) ـ الحَوَر: شدة بياضِ العين وسوادها.

(٢٢) ـ يقطِبُ: يمزج،

(٢٣) ـ **المهلل**: هو المهلهل بن يموت بن المزرع من شعراء المئة الرابعة. شاعر مجيد من الشعراء المطبوعين في الشعر والمنهمكين في الخلاعة واللعب والتطرح في مواطن اللهو والطرب، ملازماً للحانات والديارات.

(٢٤) ـ «الديارات» للشابشتي. مصدر سابق، الصفحة: ٢٠٨

لجنون الهوى وهبتُ جناني فَدَعاني[*]، ياأيها العاذلان
طربي زائد ففي خَرٍ من قد لامني في خلاعة أو نهاني
قد أبانت لي الرياضُ من الزهر غريب الصنوف والألوان
وبدا النرجسُ المفتحُ يَرنُو من جفون الكافور بالزعفرانِ
كعيون قد حَدَّقت باهتاتٍ ناظرات إلى وجوه حسان
ياغلام اسقني فقد ضحك الوقت وقد تمَّ طيبُ هذا الزمانِ
أدنِ مني الدنان صُفَّ الأباريق، استحثَّ الكؤوس صُفَّ القناني
بادِرِ الوقت واغتنم فُرص العيـ ـش ولاتكذبنَّ فالعمر فاني

وكتب الشابشتي يقول[٢٥]:

«قال: خرج يحيى بن زياد[٢٦] ومطيع بن إياس حاجين فلما قربا من دير زرارة[٢٧] قال أحدهما لصاحبه: هل لك أن نقدم أثقالنا ونمضي إلى زرارة، فنشرب في ديرها ليلتنا ونتزود من مُردها وخمرها مايكفينا إلى العودة، ثم نلحق بأثقالنا؟ ففعلا. وسار الناس، وأقاما. فلم يزل ذلك دأبهما إلى أن انصرف الحاج. فلما وصل إلى الكوفة، حلقا رؤوسهما وركبا بعيرين ودخلا مع الحاج، فقال مطيع:

ألم ترني ويحيى إذ حججنا وكان الحجُّ من خير التجارة
خرجنا طالبي حجٍ ودينٍ فمال بنا الطريق إلى زُرارة

(*) - فدعاني: فاتركاني

(٢٥) - المصدر السابق، الصفحة: ٢٤٧

(٢٦) - **يحيى بن زياد:** هو يحيى بن زياد الحارثي من شعراء المئة الثانية للهجرة. شاعر كوفي قدم بغداد وأقام فيها مدة ثم خرج عنها وله مدائح في السفاح والمهدي، وهو أديب ماجن نسب إلى الزندقة وكان صديق مطيع بن إياس وحماد عجرد ووالبة ابن الحباب من ظرفاء الكوفيين.

(٢٧) - **دير زرارة:** يقع هذا الدير بين جسر الكوفة وحمام أعين على يمين الخارج من بغداد إلى الكوفة. وهو موضع نزه حسن كثير الحانات والشراب عامر بمن يطرقه ولايخلو ممن يطلب اللعب ويؤثر البطالة.

فآب الناس قد غنموا وحجُّوا وأبنا موقرين من الخسارة».

وقال فيه أيضاً[٢٨]. وقيل ان الأبيات لأبي علي البصير:

خرجنا نبتغي مكة حجاجاً وزوارا
فلما قدم الحيرة حادي جملي حارا
وقد كاد يغور النـ ـجم للإصباح أوغارا
فقلت: احطط بها رحلي ولاتحفل بمن سارا
فجددنا عهوداً سلـ ـفت مِنَّا وآثارا
وقضينا لُبانات لنا كانت وأوطارا
وصاحبنا بها ديراً وقسيساً وخمارا
وظبياً عاقداً بين النقا والخصر زنارا
شرحنا لك أخباراً وأدمجناك أخبارا

وساهمت هذه المجالس ـ كما ذكرنا ـ في إغناء دوحة الأدب العربي بأشعار هي غاية في الرقة والجودة والعفوية لأنها نفثات بنت لحظتها، ووليدة أحاسيس مرهفة ومشاعر فياضة، وعاطفة دافئة صادقة.

كتب أبو الفرج يقول[٢٩]:

«... دخل مسلم بن الوليد[٣٠] يوماً على الفضل بن يحيى فأمره بالجلوس معه،

---

(٢٨) ـ الديارات للشابشتي مصدر سابق، الصفحة: ٢٤٨

(٢٩) ـ **كتاب الأغاني**، مصدر سابق، الصفحة: ٥٩ المجلد التاسع عشر.

(٣٠) ـ **مسلم بن الوليد**: هو أبو الوليد الإنصاري. شاعر متقدم من العهد العباسي الأول ولد في الكوفة حوالي سنة ١٤٠ للهجرة ونشأ فيها. نزل بغداد ومدح هارون الرشيد والأمين والمأمون والبرامكة والفضل بن سهل وزير المأمون وأعلام عصره. ولي البريد بجرجان. كان مداحاً متغزلاً وصافاً للخمر. جدد شعره بتعمد البديع مع المحافظة على نسق الشعر القديم بالمعنى والصيغة. حلَّى أشعاره بدرر المعاني والصور ووشاها بالطباق والمقابلة والجناس والمشاكلة. عُدَّ رأس مدرسة البديع. ←

والمقام عنده لمنادمته. فأقام عنده وشرب معه. وكانت على رأس الفضل وصيفة تسقيه كأنها لؤلؤة. فلمح الفضل مسلماً ينظر إليها.

فقال: قد ـ وحياتي يا أبا الوليد ـ أعجبتك. فقل فيها أبياتاً حتى أهبها لك.

فقال الوليد:

إن كنتِ تسقين غير الراح فاسقيني	كأساً ألذُّ بها من فيك تشفيني
عيناك راحي وريحاني حديثك لي	ولون خدَّيك لون الورد يكفيني
إذا نهاني عن شُرب الطِلا حرجٌ	فخمر عينيك يُغنيني ويُجزيني
لولا علاماتُ شيبٍ لو أتت وعظتْ	لقد صحوتُ ولكن سوف تأتيني
أُرضي الشباب فإن أهلك فعن قدرٍ	وإن بقيتُ فإن الشيب يشقيني

فقال له: خذها بورك لك فيها

وأمر بتوجيهها مع بعض خدمها إليه».

• • •

عند مقطوعة مسلم هذه التي أثملتنا بأريجها وأرقصتنا طرباً بهسهة تأودها، نتوقف ولا نقول بأنّا أحطنا بكل شي فهذا المجال غني غنى الحياة الذي لا يُحد. ولانرى ضرورة للاسترسال أكثر لأننا لانريد أن نُفْهَم بأننا نطرح الموضوع من

← والمتصفح لديوان شعره يشعر بضخامة بنائه الشعري وقوة الحبك والموسيقى الضخمة وماترسله من رنين قوي محكم. وهو يتسلط على كلماته ومعانيه وصوره فلا نُبوٌّ ولاقصور وإنما ضبط وإحكام.

ويقال أنه لما أنشد الرشيد لاميته التي فيها يقول:

هل العيش إلاَّ أن أروح مع الصبا — وأغدو صريع الراح والأعين النُجلِ

فقال له: أنت «صريع الغواني» فلصقت به هذه الصفة. توفي بجرجان سنة ٢٠٨ للهجرة/ ٨٢٣ ميلادية.

خلال التضاد بين الرؤيا الدينية والرؤيا المخالفة للدين. في نهاية بحثنا نود أن نركز على أننا لسنا نسعى إلى ترغيب الناس بالخمرة وتزيين السكر لهم ودفعهم إلى تناول الخمور والمسكرات، وتشجيع السكر والإدمان. فهذه أهداف لم ولن نسعى إليها أبداً لأنها كثيراً ما تهدم حياة أسر وتدفع الى السقوط في أشياء كثيرة كالجريمة وتدمير الجسد و ... هذا أولاً، أما ثانياً، فإن كتب التراث وديوان الشعر العربي والتصانيف الأدبية قديمها وحديثها غنية بمثل هذه القصص والطرف والأقوال والأشعار التي تتحدث عن الخمرة «الإله» كما تنظر إليها بعض الشعوب والجماعات، وعن الموقف منها ومن عشاقها، وتؤكد ماكان لها من دور في حياة المجتمعات، وبشكل خاص المجتمع العربي الإسلامي. وفي حياة عشاقها حتى بعد الممات.

قال أحد الشعراء(٣١):

إذا جاءت وفاتي فادفنوني ... بكرم واجعلوا زقاً وِسَادي
وإبريقاً إلى جنبي وكأساً ... يروي هامتي ويكون زادي

وقال أبو محجن الثقفي(٣٢):

---

(٣١) ـ **المكيفات:** الدكتور عبد العزيز أحمد شرف، سلسلة إقرأ العدد رقم ٤٣٣ الصفحة ٥٧

(٣٢) ـ **أبو محجن الثقفي:** من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. ولد بالطائف ومات بأزريبجان أو جرجان..؟. بطل شجاع وفارس معدود من أولي البأس والنجدة، وصنديد من أبطال الجاهلية وفرسانها. حارب المسلمين في غزوة ثقيف وأسلم. كان محباً للخمرة من المعاقرين لها والمحدّين في شربها. حدَّه عمر أكثر من مرة ثم نفاه إلى إحدى جزر البحر الأحمر. فهرب ولحق بسعد بن أبي وقاص بالعراق فحبسه. وقصته مع سلمى زوجة سعد وما أبلاه في موقعة القادسية جعلت سعد يُعجب به ويطلق سراحه. وتختلف الأخبار في تركه الخمرة، فبعضها يقول: أنه كف عنها، وأخرى تقول لم يكف فنفاه عمر ثانية إلى ناصع. نظم الشعر في الغزل والفخر والرثاء. ولكن شهرته تعتمد على خمرياته ووصفه للحرب. له ديوان شعر صغير مطبوع.

إذا مِتُّ فادفني إلى أصلِ كرمة تروّي عظامي بعد موتي عُروقُها
ولاتدفنني في الفلاة فإنني أخاف إذا مامِتُّ ألاّ أذوقُها
لِيُروَى بخمر الحُصّ لحمي فإنني أسيرٌ لها من بعد ماقد أسوقُها[٣٣]

وقال أبو نُواس[٣٤]:

خليليَّ بالله لاتحفِرا لي القبر إلاّ بقُطْرَ بُلِّ
خلال المعاصر بين الكروم ولاتدنياني من السُنبلِ[٣٥]
لعليَّ أسمع في حفرتي إذا عُصِرتْ ضجَّةَ الأرجُلِ

ربما يقول قائل ومن حقه أن يقول: ان مثل هذه القصص والطُرف والأخبار والأقوال والأشعار التي استشهدنا بها وتتناقلها الرواة لاتخلو من هنات المبالغة والمغالاة اللّتين عُرفتا عن المؤرخين والمصنفين والرواة من العرب والمسلمين، ولايجوز أن يُركن إلى صحتها وأصالة نسبتها، لأنها بعيدة عن الصدق والدقة التاريخيين. وربما كانت موضوعة من قبل الرواة والمصنفين الذين نسبوها عن عمد إلى أشخاص عرفوا بالجديّة والصدق وحسن السيرة، وربما بالنزاهة وسعة العلم والموضوعية، لأغراض شتى متعددة المرامي والأهواء، وهي أبعد ماتكون عن صدق وجديَّة الوقائع والحقائق التاريخية. ولايجوز أن يُعتمد عليها في دراسة لها صفة الجدية والموضوعية التي تتوخى الحيازة على الواقع الموصوف بالحقيقة والتي ترفض في الوقت عينه أوهام الديكتاتورية للحقائق القيمية القامعة والمطلقة.

إن هذا التوجه وهذا الطرح لايمكن أن يماري في خطهما العام اثنان. لكننا نقول ونؤكد: أنه على الرغم من أن بعض هذه الطرائف والقصص والأخبار والأقوال ربما كانت موضوعةً ولاتتحلى بفضيلة الصدق والدقة التاريخيين، أو لاتُعبر عن

(٣٣) ـ كتاب الأغاني: أبو الفرج مصدر سابق المجلد التاسع عشر، الصفحة: ٧ .

(٣٤) ـ **ديوان أبي نُواس**: مصدر سابق:الصفحة: ١٧

(٣٥) ـ السُنبل: نبات طيب الرائحة.

وقائع وأحداث محددة بعينها، أو أقوال صدرت عن ذوات الأشخاص المنسوبة إليهم. نقول ربما، لكنها مع ذلك تبقى وبلا أدنى شك دليلاً واسماً يسم ذلك العصر، ويسم ذروة الهرم الاجتماعي والشرائح الإجتماعية القريبة منها والملتفة حولها. ومرآة تعكس عيشة السرف والترف والرخاء التي كانوا يعيشونها سراً أو جهاراً على اختلافها وتنوعها وتباينها مع التعاليم الشرعية والأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة.

أجل إنها تبقى معلماً واضحاً شامخ القامة يُعبر عن واقع قائم، ووجدان اجتماعي سائد، ورغبات انسانية في توجهها الحضاري الدنيوي. معلماً يُترجم مواقف أنسنة تتمرد على حراس مقبرة العَنَتْ الفقهي، وتناهض توجهات التابو الديني(٣٦) وغلافه الظاهري المتزمت، وشخصيته المقنعة المزدوجة.

وماكان تعبيراً عن واقع قائم، وعن وجدان اجتماعي سائد، وعن رغبات إنسانية في توجهها الحضاري الدنيوي، هو جزء من الحقيقة الملموسة. بل هو الحقيقة المعيشة بعينها التي لايمكن تجاهلها، والناطقة بلسان الناس والمعبرة عن حياتهم وتطلعاتهم على اختلاف مللهم وقناعاتهم وصفتهم الاجتماعية ودورهم في الدولة والمجتمع.

(٣٦) ـ التابو من الكلمة الإنكليزية Tabu أو Taboo ، وتعني المحظور، الممنوع أو المحرم بوصفه مقدساً أو ملعوناً.

مصادر ومراجع البحث

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ الكتاب المقدس العهد القديم

٣ ـ الكتاب المقدس العهد الجديد انجيل يوحنا

٤ ـ الكتاب المقدس العهد الجديد رسائل الرسل

٥ ـ تفسير القرآن العظيم إسماعيل بن كثير

٦ ـ تفسير الصافي محمد محسن بن الشاه مرتضى الملقب بالفيض الكاشاني

٧ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

٨ ـ أسباب النزول للإمام الواحدي تحقيق الدكتور السيد الجميلي

٩ ـ الناسخ والمنسوخ واختلاف العلماء في ذلك أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس تحقيق الدكتور سليمان اللاحم.

١٠ ـ الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي

١١ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور جلال الدين السيوطي

١٢ ـ البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٣ ـ ديوان ابن الرومي علي بن العباس بن جريج اختيار وتصنيف كامل الكيلاني

١٤ ـ ديوان الحطيئة جرول بن أوس شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه.

١٥ ـ ديوان ابن المعتز، شرح محي الدين الخياط

١٦ ـ ديوان أبي نُواس: تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي

١٧ ـ ديوان الخالديان محمد وسعيد تحقيق سامي الدهان

١٨ ـ شعر الأخطل صنعة السكري واليزيدي تحقيق فخر الدين قباوة

١٩ ـ موسوعة الشعر العربي العصر الجاهلي مطاع الصفدي إيليا حاوي

٢٠ ـ المختار من الشعر الجاهلي شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني

٢١ ـ الفكاهة والإتيناس في مجون أبي نواس
٢٢ ـ البيان والتبيين عمرو بن بحر الجاحظ دار الكتب العلمية بيروت
٢٣ ـ التاج في أخلاق الملوك عمرو بن بحر الجاحظ
٢٤ ـ الرؤوس: مارون عبود
٢٥ ـ المكيفات: الدكتور عبد العزيز أحمد شرف سلسلة إقراء العدد رقم٤٣٣
٢٦ ـ النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية. حسين مروة
٢٧ ـ من قاموس التراث: هادي العلوي
٢٨ ـ المستطرف الجديد: هادي العلوي
٢٩ ـ اليمين واليسار في الإسلام: أحمد عباس صالح
٣٠ ـ العالم مادة وحركة: غالب هلسا
٣١ ـ الكتاب والقرآن: الدكتور المهندس محمد شحرور
٣٢ ـ من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي: الدكتور محمد أركون ترجمة هاشم صالح.
٣٣ ـ العقد الفريد: أحمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي تحقيق محمد سعيد العريان
٣٤ ـ كتاب الذخائر والتحف: للقاضي الرشيد بن الزبير تحقيق الدكتور محمد حميد الله.
٣٥ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد عز الدين أبو حامد المدائني المعتزلي
٣٦ ـ تيسير الوصول: للزبيدي
٣٧ ـ الأحكام السلطانية علي بن محمد حبيب الماوردي
٣٨ ـ أنساب الأشراف للبلاذري
٣٩ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء. للراغب الأصبهاني تصحيح الشيخ حسن الفيومي إبراهيم.
٤٠ ـ المختار من قطب السرور في أوصاف الخمور، علي نور الدين المسعودي تحقيق عبد الحفيظ منصور.
٤١ ـ مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون
٤٢ ـ نقط العروس: ابن حزم الأندلسي.
٤٣ ـ طبقات الشعراء: عبد الله بن المعتز.
٤٤ ـ الكشكول: بهاء الدين العاملي، تحقيق أحمد الزاوي
٤٥ ـ المستطرف في كل فن مستظرف الأبشيهي
٤٦ ـ مطالع البدور في منازل السرور: علاء الدين الغزولي

٤٧ ـ ثمرات الأوراق في المحاضرات. ابن حجة الحموي
٤٨ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، تحقيق أحمد زكي.
٤٩ ـ خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق الدكتور شكري فيصل.
٥٠ ـ معجم البلدان ياقوت الحموي
٥١ ـ خمر وشعر: سامي الكيالي.
٥٢ ـ مختار الأغاني: جمال الدين بن منظور المصري الأفريقي.
٥٣ ـ معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون.
٥٤ ـ لسان العرب. جمال الدين بن منظور المصري الأفريقي
٥٥ ـ أبو نواس: عبد الحليم عباس سلسلة إقرأ العدد رقم:٢١
٥٦ ـ الجواري: الدكتور جبور عبد النور سلسلة إقرأ العدد رقم:٥٩
٥٧ ـ تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
٥٨ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي علي بن الحسين تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي.
٥٩ ـ تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي.
٦٠ ـ لطائف اللطف: أبو منصور الثعالبي، تحقيق الدكتور عمر الأسعد
٦١ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. أبو منصور الثعالبي تحقيق أبو الفضل إبراهيم
٦٢ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. أبو منصور الثعالبي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
٦٣ ـ مع الصادقين: الدكتور محمد التيجاني السماوي
٦٤ ـ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر
٦٥ ـ ضحى الإسلام الدكتور أحمد أمين
٦٦ ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين
٦٧ ـ كتاب الأغاني. أبو الفرج الأصبهاني
٦٨ ـ الإماء الشواعر أبو الفرج الأصبهاني تحقيق جليل العطيه
٦٩ ـ الديارات: أبو الفرج الأصبهاني تحقيق جليل العطيه
٧٠ ـ العصر الإسلامي: الدكتور شوقي ضيف
٧١ ـ العصر العباسي الأول: الدكتور شوقي ضيف

٧٢ ـ الروض المعطار في خير الأقطار: للحميري تحقيق الدكتور: حسان عباس
٧٣ ـ أبو نواس بين التخطي والإلتزام، الدكتور علي شلق .
٧٤ ـ شعراء المجون: صالح جودت، سلسلة كتاب الهلال العدد رقم٢٦٤
٧٥ ـ الديارات للشابشتي: تحقيق كوركيس عواد
٧٦ ـ فن الشعر الخمري: إيليا حاوي
٧٧ ـ الجواري المغنيات: فايد العمروسي
٧٨ ـ الأندية الأدبية في العصر العباسي: علي محمد هاشم.
٧٩ ـ المنجد في اللغة والأعلام للأب معلوف الطبعة السادسة والعشرون.
٨٠ ـ البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي.
٨١ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني
٨٢ ـ الخطط والمواعيظ والاعتبار للمقريزي.
٨٣ ـ كتاب الألفاظ الفارسية المعربة: السيد أدي شير رئيس أساقفة سعرد الكلداني.
طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة: ١٩٠٨ .

الفهرس

للكاتب قيد الطبع

- المتهتك الفاضل أبو نواس شاعر الحداثة والخمرة والتمرد والاغتراب
  - دار التنوير - حمص - سورية
- الجواري والقيان وظاهرة انتشار أندية ومنازل المقينين في المجتمع العربي الإسلامي - دار الحصاد - دمشق - سورية

من إصدارات الدار

أصداء الزمن ـ كفاح الكنيسة من أجل الوجود
(صراعاتها الداخلية والخارجية) تأليف جان دوبراسيسكي
الحريم السياسي (النبي والنساء) تأليف : فاطمة المرنيسي
السلطانات المنسيات (نساء رئيسات دولة في الإسلام)
تأليف : فاطمة المرنيسي
عمل الدعاة الاسلاميين (في العصر العباسي) تأليف : خير الله سعيد
العنف والمقدس تأليف : رينيه جيرار
العشق الجنسي والمقدس تأليف : فيليب كامبي
العبودية . .. . . تأليف موريس لانجليه
على خطى الصليبيين . تأليف : كلود كاهن
من الوعي الاسطوري الى بدايات التفكير الفلسفي النظري
(بلاد ما بين النهرين تحديداً) تأليف : عبد الباسط سيدا
معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية
في نهاية القرن السادس عشر تأليف : د. محمد م. الارناؤوط
فلسطين والفلسطينيون تأليف : باميلا آن سميث
مديح الاختلاف (الوراثيات والبشر) تأليف البير جاكار
مأساة العقل العربي تأليف د. جمال الدين الخضور
زمن النص تأليف د. جمال الدين الخضور
السيادة . تأليف عبدالهادي عباس
شكسبير والدراما تأليف : ليف تولستوي
الفن عند الانسان البدائي تأليف : يان إيليك
قضايا الإبداع في قصيدة النثر تأليف : يوسف حامد جابر
ما هو الفن تأليف : ليف تولستوي

علم الهارمونية	تأليف : د. محمد عزيز شاكر
الغيتـــــار (تقنيات عزف السلالم)	تأليف : د. محمد عزيز شاكر
الصولفيج الغنائي والإيقاعي الفوري	تأليف: ماكس باتكيه

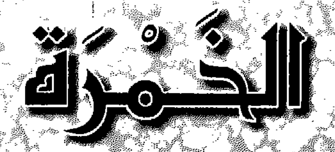
طريقة مونتسوري في تربية الطفولة المبكرة للأم والمعلمة
تأليف : إليزابيت ج. هينستوك

من إصدارات ١٩٩٦

الله والانسان على امتداد ٤٠٠٠ عام	تأليف : كارين آرمسترونغ
الوثنية والمسيحية	تأليف : ألكسندر كرافتشوك
مدخل إلى القانون الاميركي	تأليف : آلان فرانثورث
الموقف من الخمرة	تأليف : د. سليمان حريتاني

سيصدر عن الدار

الجواري والقيان	تأليف : د. سليمان حريتاني
نقد العقلانية العربية	تأليف :الياس مرقص
ولادة إله	تأليف : جان بواتيرو
مُحـمـد وجهة نظر غربية لفهم الإسلام	تأليف : كارين آرمسترونغ



في عالم العشق والهيام لم ينافس المرأة في مكانتها عند الرجل سوى الخمرة. فكانت الاثنتان المرأة والخمرة تجلبان له السرور والحبور تارة وتارة التعاسة والشقاء. تسببا له ضياع الرشد وفقدان التوازن فتتهدم حياته شيئاً فشيئاً.

في هذا الكتاب رصد للخمرة ودورها في حياة العرب منذ الجاهلية، دورها في حياة الإنسان، الفردية والاجتماعية. هذا الدور الذي يسبب أذية قد تكون مدمرة في حياة كثير من الناس. ولهذا جاء الإسلام لينفرد من بين الأديان في اتخاذ موقف حاد منها.

فما هذا الموقف؟ وكيف تعامل المسلمون فيما بعد مع الخمرة، وما مدى التزام القيّمين على الأمور في تطبيق تعاليم الإسلام حول الخمرة، وكيف تراخت القبضة تحت سحر الخمرة وأضرابها. ثم كيف راحت أخيراً تنتشر الحانات ومجالس الشراب. وما هي الآلية والوسيلة التي كان يلجأ إليها أصحاب هذه الحانات والمجالس ليؤمّنوا للرواد الطمأنينة والاستطابة. ولينموَ فيها ماسُمّي بأدب السَّمر والظُّرف.

الناشر

